نحو تربية إسلامية راشدة

من الطفولة حتى البلوغ

تأليف

محمد بن شاكر الشريف

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

(ح) **مجلة البيان ١٤٢٧هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريف، محمد شاكر

نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ./ محمد شاكر الشريف.-الرياض ، ١٤٢٧هـ

١٧٠ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٦-٥-٩٦٣٧-٩٩٦٠

١ - التربية الإسلامية

أ -العنوان

ديوي ٣٧٧,١ ١٤٢٧/٥٩

رقم الإيداع: ٥٩ / ١٤٢٧

ردمك: ٦-٥-٩٦٣٧-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد النبي الخاتم ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

فقد ختم الله - تعالىٰ - رسالاته للناس برسالة نبيه الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، ما يعني أن البشرية انتهت في رقيها وحضارتها إلىٰ ما جاء به ﷺ، وهذا يقود - بدوره - إلىٰ أن تكون كل المحاولات في الرقي والعمران - التي يراد لها الرشد ومنها الفائدة - مستندة ومعتمدة علىٰ شريعته، بحيث لا تخرج عنها ولا تخالفها، بل تحاول التقيد بها والالتزام بما دلت عليه.

إن الحديث عن التربية حديث مهم، تنبع أهميته من أهمية التربية نفسها، وهو في الوقت نفسه يحتاج إلىٰ بسط وتكرار، حتىٰ تتحول الأساليب التربوية لدىٰ المربين إلىٰ قريب من الملكات، بحيث يكون المربي قادراً علىٰ مواجهة المواقف الطارئة، وكأنه قد أعدَّ لها منذ زمن، ورتَّب لها الترتيب المناسب.

إن المخرجات التربوية تتأثر بشكل كبير جداً في كثير من الحالات بل في أغلبها، بمدىٰ قدرة المربي علىٰ ممارسة التربية، وإحاطته بخبراتها ومهاراتها، وتمكُّنه من الأساليب والوسائل التربوية، وقدرته علىٰ تطبيقها واستغلالها في ظروفها المناسبة لها.

وفي ظل الظروف الحاضرة التي تعيشها أمتنا الإسلامية، يتبين مدىٰ الأهمية القصوىٰ للعناية بالتربية، مما يحتم علىٰ المتخصصين في التربية، أو المعتنين بالشأن التربوي، أو الذين لهم اهتمام به أن يساهموا بما لديهم من إفادات في هذا الشأن للمربين.

وانطلاقاً من النظر إلىٰ التربية علىٰ أنها المدخل الصحيح لإيجاد الشخصية المسلمة المتزنة المستقيمة، وذلك لتنشئة جيل فاقهٍ لدينه متمسك به، عامل به وداعٍ

إليه، ليحقق خيرية الأمة في الواقع، وليحقق لنفسه الفلاح في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة، وانطلاقاً من تقدير أهمية التربية على هذا الأساس، وضرورة العناية بها، واحتياج أمتنا إلى التعامل السديد مع تلك القضية في بُعْدها العملي التطبيقي على مستوى المربين، فإنني أتقدم بهذا الموجز الميسر بعنوان «نحو تربية إسلامية راشدة، من الطفولة حتى البلوغ» إسهاماً في هذا المجال، راجياً من الله ـ تعالى ـ أن يقدم إضافة في مجاله، وأن يكون عوناً للمربين.

الخطة:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وهي التي بين أيدينا، يتم الحديث فيها عن تعريف التربية وأهميتها، وإلى من نتوجه بهذه الرسالة، والأساس الذي اعتمدت عليه في تقسيم المراحل العمرية بالنسبة لعملية التربية.

ويلي المقدمة فصول ثلاثة:

أولها: عن مرحلة الطفولة دون سن التمييز.

والثاني: عن مرحلة الطفولة في سن التمييز.

والثالث: عن مرحلة البلوغ.

يتناول كل فصل من هذه الفصول الثلاثة الحديث عن كل مرحلة من خلال:

ـ الخصائص والمميزات للمرحلة.

ـ العوائق والمشكلات.

ـ الأساليب والوسائل.

ـ الثواب والعقاب.

ـ التوجيهات والنصائح.

وفي نهاية الرسالة أضيفت بعض المراجع التي يمكن أن يستعان بها في التربية.

والحديث في هذه الرسالة يشمل الذكر والأنثىٰ، وإن جرىٰ الحديث كثيراً بلفظ المذكر، فإن النساء شقائق الرجال.

في التربية لا يتعامل الباحث أو المربي مع مادة جامدة لها قوانينها الضابطة، التي تصدق وتتحقق في مختلف الأوضاع، فلا تتأثر بالأزمنة أو الأمكنة، بل يتعامل مع كائن حي وهو الإنسان صاحب الروح والقلب والعقل والجسد.

وهو بهذا يختلف عن المادة الجامدة اختلافاً كلياً، فلا يمكن ضبط كثير من أموره بقوانين ثابتة تطبق علىٰ جميع الأفراد، بل كل فرد له خصائصه ومميزاته وظروفه الخاصة، بل إن هذا مما يختلف علىٰ مستوىٰ الفرد الواحد باختلاف المراحل العمرية، مما يصعب معه أن يتمكن أي باحث في التربية من تغطية كل هذه الجوانب المتباينة من فرد لآخر، أو الوفاء ببعض ما تشمله.

وحسب الباحث أن يركز علىٰ بعض الظواهر التي قد تعم وتنتشر، ثم يقدم لها تحليلاً، فيقدم بذلك مفتاحاً أو نموذجاً يمكن أن يحتذىٰ، أو يقاس عليه في الدراسة والبحث؛ ليتمكن المربي من التعامل مع كل حالة يقابلها علىٰ النحو الذي يتلاءم والأدوار التي يقوم بها، والمواقف التي يتعرض لها(١).

ومن نافلة القول أن يقال: إن هذه الرسالة لن تتمكن من تغطية كل ما يمكن تغطيته في مجال التربية، فهناك تفصيلات وتفريعات كثيرة ومتعددة الجوانب، حاولت بقدر الإمكان الالتفاف حولها أو القفز من فوقها، حتىٰ لا تقع الرسالة في تأثير مجالها الجاذب، فتغرقنا في تفصيلات كثيرة لا تتماشىٰ مع خطة

(١) انظر: المراهقون دراسة نفسية إسلامية، لـ: أ. د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ص ٦.

البحث الذي يعد بحثاً تطبيقياً في المقام الأول، وليس بحثاً عن نظريات التربية وتفريعاتها المتشعبة.

وقد روعي أن تكون هذه الرسالة موجزة مختصرة، حتى يكون ذلك دافعاً إلى مواصلة قراءتها وعدم الانقطاع عنها؛ للاستفادة مما جاء فيها، والله - تعالى - الموفق لكل خير، فنسأله - تعالى - برحمته وفضله، العون على التمام، والهداية والتوفيق والرشاد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وزوجاته أمهات المؤمنين، وآله الكرام الأماجد، وأصحابه الطيبين البررة.

محمد بن شاكر الشريف

الرياض في ١٠ / ٤ / ١٤٢٦

البريد الإلكتروني

alsharef@albayan-magazine.com

تمهيد

التمهيد

في مفهوم التربية والتعليم، وأنواع المربين، ومراحل التربية، ومجالاتها، وحكمها:

التربية في بُعْدها الثقافي «عملية اجتماعية، تعنىٰ بتطبيع أفراد المجتمع علىٰ مستوىٰ معين من الخلق والسلوك، وتكسبهم المهارات في مختلف الفنون، والخبرات العملية، لهذا؛ فإنها تختلف من مجتمع إلىٰ مجتمع، تبعاً للظروف الخاصة بكل مجتمع»[١].

وفي بُعْدها العملي موقف تفاعلي انفعالي بين المربي وبين المتلقي، حيث يكون العطاء من المربي، ويكون التلقي والتأثر والانفعال من المتلقي، والذي يؤثر ـ بدوره ـ علىٰ عملية العطاء عند المربي تصحيحاً وتطويراً، من حيث الأساليب والوسائل.

وما لم تقم التربية علىٰ التفاعل والانفعال بين جهة الإرسال (المربي) والاستقبال (المتلقي) تصبح عملية التربية عملية ميتة لا روح فيها ولا حياة ولا نماء، ولا يكاد يترتب عليها أثر ذو فاعلية أو فائدة.

ولا يكاد يتصور حدوث تغيير حقيقي في المجتمعات، وانتقال من حال إلىٰ حال أحسن منه، إلا من خلال التربية التي تكون القائد أو الموجه الحقيقي للإصلاح، إذ لا يحدث تغيير إلىٰ الأفضل ذي ثبات واستمرار في أحوال المجتمعات، إلا من خلال تغيير ما بالأنفس كما قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**... ﴾ الآية [**الرعد**: ١١]، وتغيير ما بالأنفس تغييراً ثابتاً مستمراً في المسار الصحيح، لا يكون إلا من خلال التربية، فالتربية هي أداة التغيير الكبرىٰ في المجتمعات التي

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، لـ: د/ محمد السيد محمد الزعبلاوي ص ١٠.

تستقي منها بقية الأدوات فاعليتها وجدواها، وهذا يظهر الأهمية الكبرىٰ للتربية الصحيحة.

التربية: لغة:

يُرَدُّ لفظ التربية من حيث الأصل اللغوي إلى ثلاثة جذور:

الأول (ر ب ب): من قولهم: رَبَّبْتـه: مَتَّنْتُـه، وربيتـه: دهنته وأصلحتـه، ورَبَّهَا: نماها وزادها وأتمها وأصلحها، ورَبَّه يَرُبُّه: يكفل بأمره، ورباه تربية: أحسن القيام عليه ووليه حتىٰ يفارق الطفولية، وأرب بالمكان: لزمه وأقام به فلم يبرحه.

الثاني (ر ب و): من قولهم: ربا الشيء يربو رُبُوّاً: زاد ونما، ورَبَوْت في بني فلان رُبُوّاً ورَبْواً: نشأت فيهم، ورَبَّيْت فلاناً أُربيه تَرْبية: أي غذوته وهذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه.

الثالث (ر ب ي): من قولهم: رَبْيت رباء ورُبِيّاً، ورَبِيت أرْبَىٰ رَباً، ومعناها أيضا نشأت فيهم(١).

ومن هنا يتبين أن مفهوم التربية لغة هو ما يُقصد به:

ـ إصلاح الفرد وتهيئته ـ والجماعة تابعة له ـ حتىٰ يبلغ درجة الاعتماد علىٰ نفسه والاستغناء عن غيره.

ـ التنشئة علىٰ الصلاح، مع التكفل بحسن القيام به، والتدرج في ذلك.

ـ المداومة وعدم الانقطاع المتضمن للنماء والزيادة، مع الحفظ والرعاية.

وذلك في كل ما يتعلق بالإنسان من جوانبه المتعددة: الروح والقلب والعقل والجسد.

والتربية الإسلامية في معناها الاصطلاحي لا تخرج عما تقدم ذكره في

---

(١) ينظر في المعنىٰ اللغوي: لسان العرب، مادة (ر ب ب)، ومادة (ر ب و).

معناها اللغوي، فالتربية عند التربويين المسلمين لا تخرج عن تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب العقدية والعبادية والأخلاقية، والعقلية والصحية، وتنظيم سلوكه وعواطفه، في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام، من خلال الطرق والإجراءات التي تقبلها الشريعة[١].

بعض أقوال أهل العلم في معنى التربية:

قال الأصفهاني ـ رحمه الله تعالى ـ: (الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام)[٢]، وكذلك قال البيضاوي: (التربية: وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً)[٣]، وهو ما يعني أن التربية لا بد فيها من التدرج، وكذلك قال المناوي: (التربية إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام)[٤]، وقال ابن حجر: (التربية وهي القيام على الشيء وإصلاحه)[٥]، وهي بذلك تناظر معنى لفظ السياسة، وقال ابن عاشور: (والتربية: كفالة الصبي وتدبير شؤونه)[٦].

التربية في القرآن الكريم:

وقد وردت مادة هذه اللفظة في عدة مواضع من القرآن الكريم، فمن ذلك:

قوله ـ تعالى ـ عن الوالدين: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [**الإسراء**: ٢٤]، قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير ذلك: (كما تَعطَّفا

(١) انظر في ذلك: أصول التربية الوقائية للطفولة، لـ: د/ حسين بانبيلة ص ١٥ ـ ١٦، وتربية الأطفال، لـ: محمد حامد الناصر ص ٢٥.
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ١٨٤.
(٣) تفسير البيضاوي: ١/ ٤٢.
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف: ١/ ١٦٩.
(٥) فتح الباري: ١/ ١٢١.
(٦) التحرير والتنوير: ١/ ٣٠٠٤.

عليَّ في صغري فرحماني، ورباني صغيراً حتىٰ استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما)، وقال: (وعنىٰ بقول ربّياني: نمياني)(١)، وقال القرطبي: (قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾ خص التربية بالذكر؛ ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما، وهذا كله في الأبوين المؤمنين، وقد نهىٰ القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات، ولو كانوا أولي قربىٰ)(٢)، وهذا مما يتبين معه أن التربية تحتاج إلىٰ بذل جهد ومشقة ونصب.

وقوله ـ تعالىٰ ـ في قصة موسىٰ ـ عليه السلام ـ عندما حكىٰ قول فرعون: ﴿**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً**...﴾ الآية [**الشعراء**: ١٨]، قال ابن كثير: (أي: أَمَا أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلىٰ فراشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين؟)(٣).

ومما يحمل علىٰ هذا اللفظ أيضاً قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ [**آل عمران**: ٧٩]، والربانيون: جمع، واحدهم: ربّاني منسوب إلىٰ الرب، والرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، (والرباني: الجامع إلىٰ العلم والفقه، البصير بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم)(٤)، وهم العلماء الحكماء، أو العلماء الفقهاء، أو الحكماء الفقهاء، أو الحكماء الأتقياء(٥)، وقد ورد لفظ (الربانيين) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم(٦).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري: ١٥/ ٦٧ ـ ٦٨.
(٢) تفسير القرطبي: ١٠/ ٢٠٧.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٤٣.
(٤) تفسير ابن جرير الطبري: ٢/ ٢٢٢.
(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري: ٣/ ٢٢٢.
(٦) ومما ورد في القرآن مما يمكن حمله علىٰ التربية لفظ «ربيون» في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾ [**آل عمران**: ١٤٦] وذلك لتشابه الحروف، لكن جمهور المفسرين علىٰ أن الربيين هم الجماعات الكثيرة، ولا مدخل لها في معنىٰ التربية، فمن أجل ذلك لم تذكر هنا.

وقد دل على أن النماء والزيادة من معاني التربية قولُه ـ تعالى ـ: «يمحق الله الربا ويُربِّي الصدقات» [بتشديد الباء المكسورة في قراءة]، وقول الرسول ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها، كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه، حتى يكون مثل الجبل»(١).

كما دل على أن التنشئة من معاني التربية قولُه ـ تعالى ـ: ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ**...﴾ الآية [**الزخرف**: ١٨]، قال القرطبي: (أي يربى ويشب، والنشوء التربية، يقال: نشأت في بني فلان نشئاً ونشوءاً إذا شببت فيهم)(٢)، وهذا كله يدل على تلك المعاني المتقدمة للتربية في اللغة.

بين التعليم والتربية:

العلم نقيض الجهل، والتعليم هو التزويد بالمعارف والمعلومات التي تزيل الجهل، لكن العلم أو التعليم لا يراد لذاته وإنما يراد لما يترتب عليه من العمل، قال الشاطبي في بيان أن العلم إنما يطلب من أجل العمل: (وكان رجل يسأل أبا الدرداء، فقال له: كل ما تسأل عنه تعمل به؟ قال: لا، قال: فما تصنع بازدياد حجة الله عليك؟، وقال الحسن: اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم، فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل، يصدقه أو يكذبه، فإذا سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه، فإن وافق قوله عمله فنعم ونعمة عين، وقال ابن مسعود: إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعلُه قولَه فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف فعلُه قولَه فإنما يوبخ نفسه، وقال الثوري: إنما يطلب الحديث ليتقى به الله عز وجل، فلذلك فضل على غيره من العلوم، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء، وذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد قال: أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل، والأدلة على هذا المعنى

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، رقم ١٣٢١، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم ١٦٨٤، والفَلُوُّ: المهر الصغير.
(٢) تفسير القرطبي: ١٦/ ٦٣.

أكثر من أن تحصىٰ، وكل ذلك يحقق أن العلم وسيلة من الوسائل ليس مقصوداً لنفسه، من حيث النظر الشرعي، وإنما هو وسيلة إلىٰ العمل، وكل ما ورد في فضل العلم فإنما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف بالعمل به)(١)، وقال ابن المنكدر - رحمه الله تعالىٰ -: (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)(٢)، وقال البخاري - رحمه الله تعالىٰ -: (العلم قبل القول والعمل)(٣)، والتربية لا تكون تربية صحيحة إلا إذا كانت معتمدة علىٰ العلم.

لذا يتعذّر الفصل بإطلاق بين مصطلح التربية ومصطلح التعليم، فالتربية إذا ذكرت مع التعليم في سياق واحد، فإن التربية تأخذ معنىٰ العمل القائم علىٰ دعائم العلم، والتعليم يأخذ معنىٰ التزويد بالمعارف والمعلومات، أما إذا ذكرت وحدها فإنها تشمل التعليم أيضاً، وكذا التعليم إذا ذكر منفرداً فإنه يشمل التربية، إذ لا يكون للتعليم فائدة إلا إذا تبعه العمل، بخلاف ذكر التعليم مع التربية فإنه ينحصر في المعنىٰ المعرفي، فإذا اجتمعا استقل كل مصطلح بمعناه الخاص، وإذا افترقا دخل أحدهما في الآخر.

وهذا يعني أن الحرص علىٰ التعليم فقط والتفوق فيه من غير أن يتبعه عمل، لا يضمن - بالضرورة - تقديم جيل حسن أو فاضل قد أحسنت تربيته، وفي المقابل يمكننا أن نجد فئات حسنة التربية وإن كان محصولها العلمي قليلاً.

والتربية لها أثر عظيم علىٰ المتلقي، حتىٰ إنها لتنقل صاحبها من معسكر إلىٰ معسكر مناقض له تماماً، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في قوله: «ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»(٤)، وهذا مما يبين خطورة دور المربي، وأهمية أن يكون مؤهلاً للقيام بذلك العمل، وفق عقيدة المجتمع وأخلاقياته

(١) الموافقات: ١/ ٦٥.
(٢) اقتضاء العلم العمل: ١/ ٣٦.
(٣) ذكره البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل.
(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، رقم ١٢٧٠، ومسلم: كتاب القدر، رقم ٤٨٠٣.

وسلوكه، ومن هنا تصبح عملية إعداد المربي على أسس صحيحة، عملية في غاية الأهمية، فالمربي الحقيقي يستطيع ـ بفضل الله تعالىٰ ـ أن يقوم بعملية تغيير واسعة النطاق في المجتمع، تشمل قطاعات متعددة منه.

المربي المستهدف:

نستهدف في هذه الرسالة من يقوم بمهام التربية بطريقة مقصودة، وهذا يشمل الأبوين والمرشدين والمعلمين، سواء كانوا في البيوت أو المدارس أو المساجد، وهذا لا يمنع من وجود مربين غير مقصودين قد لا يُلْتفت إليهم كثيراً، بينما لهم ـ في الحقيقة ـ دور كبير بارز، وتأثير ضخم في تربية الأجيال، قد يتجاوز في بعض الأحيان دور المربين المقصودين.

ويختلف تأثير المربي على المتلقي باختلاف المرحلة العمرية ـ ضمن عوامل أخرىٰ تتداخل في التأثير ـ، ففي مرحلة الطفولة قبل الاحتكاك بالمجتمع الخارجي ودخول المدارس، يكون المربي الأكبر للطفل والديه، مع روافد أخرىٰ مثل الإخوة والأخوات ـ إن وجدوا ـ والأقارب الذين يحدث التزاور معهم.

وبعد المدرسة وفي مرحلة التمييز يضاف معلم المدرسة إلىٰ المربين المقصودين، كما يضاف علىٰ الروافد الزملاء وأصدقاء الدراسة، إلىٰ جانب البيئة المحيطة كالجيران والشارع، فإن الطفل في هذه السن يبدأ في الاحتكاك والتعامل مع الجيران والأولاد الذين يوجدون في الشارع.

وفي المرحلة المتوسطة أو الأخيرة من مرحلة التمييز، وكذلك مرحلة بلوغ الحلم يضاف إلىٰ ما تقدم إمام المسجد، كما يظهر بقوة تأثير الروافد المحيطة بالمتلقي ودورها في التربية، فيظهر دور وسائل الإعلام، وجماعة الرفاق، والأندية، وكذلك وسائل المعرفة التي تزداد يوماً بعد يوم، كالكتاب والشريط، والأقراص المدمجة، وشبكة المعلومات.

ومن هنا يظهر الدور الخطير لروافد التربية غير المباشرة، مما يلقي بتبعة كبيرة

علىٰ كاهل المربين، في محاولة ضبط التعامل مع هذه الروافد والتحكم فيها، وتوجيه الاستفادة منها توجيهاً حسناً، بحيث يستفاد مما فيها من أوجه الخير والنفع، ويجتنب ما فيها من الدلالة علىٰ الشرور والمفاسد.

والحقيقة فإنه من غير الممكن ولا المعقول أو المقبول، أن يتحمل المربون بمفردهم مهمة التصدي لتلك الروافد والتعامل معها، بل ينبغي أن يشارك في ذلك كل الأجهزة والمؤسسات صاحبة العلاقة في ذلك، والتي يناط بها مسؤولية حفظ أمن المجتمعات فكرياً وأخلاقياً وسلوكياً، حتىٰ تصب الروافد كلها في الاتجاه المرغوب فيه، وحتىٰ يعمل الجميع في الاتجاه نفسه التي تعمل فيه التربية المقصودة، حتىٰ لا يصل الأمر إلىٰ ما أشار إليه الشاعر ـ وهو يحذر من تضاد الأعمال والرؤىٰ والتصورات ـ بقوله:

متىٰ يبلغ البنيان تمامَه إذا كنت تبني وغيرك يهدمُ؟!

فلا يعقل أبداً في مجتمع يبحث لنفسه عن موضع قدم في عالم الكبار، أن تكون المؤسسات التي يناط بها أمر التربية والتثقيف ـ كالمدارس والجامعات ومعاهد العلم، أو وسائل الإعلام المتنوعة ومؤسسات التوجيه ـ هي التي تقوم بعملية الهدم المقصود أو المنظم عن طريق إفساد العقائد والتصورات، أو الأخلاق والسلوكيات، كما هو مشاهد في كثير من بلاد المسلمين.

مجالات التربية:

الإنسان ليس جسداً فقط، بل هو إلىٰ جانب ذلك روح وقلب وعقل، بما يترتب علىٰ ذلك من المشاعر والأحاسيس، والرؤىٰ والتصورات والاعتقادات، والعلاقات والانفعالات، وذلك كله يتداخل في تحديد السلوك والأخلاق، وكيفية السعي لتحقيق مطالب الإنسان، والعلاقة مع الآخرين، ومن هنا تتحدد مجالات التربية كالتالي:

ـ تربية للجسد، وتكون بتوفير الغذاء والكساء والمسكن من كسب حلال،

والعناية بالصحة والنظافة والنشاط، وهذه يقوم بالدور الأعظم فيها الوالدان، وقد أشار الفقيه الشيرازي إلىٰ هذه التربية ـ وهو يتكلم عن أهمية لبن الأم بالنسبة للرضيع ـ بقوله: (والتربية بلبن البهيمة يفسد طبعه)[١]، كما أشار إليها الغزالي بقوله: (فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نَشْوُ الصبي انعجنت طينته من الخبيث، فيميل طبعه إلىٰ ما يناسب الخبائث)، وقوله: (ويُعوَّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتىٰ لا يغلب عليه الكسل)[٢].

ـ تربية للقلب، وتكون بتغذيته بالإيمان والاعتقادات الصحيحة، وإليها أشار الغزالي بقوله: (فيتعلم القرآن، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم، لينغرس في نفسه حب الصالحين)[٣].

ـ تربية للروح، وتكون بتزكية النفس، والدعوة للأخلاق الحسنة والسلوك الحميد، والقيام بالعبادات والتكاليف الشرعية، وإليها أشار الغزالي بقوله: (الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلىٰ كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له، وقد قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...**﴾ الآية [**التحريم**: ٦]، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولىٰ، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء)[٤] وهذان المجالان يشترك فيهما الوالدان، وإمام المسجد ومعلم المدرسة.

(١) المهذب: ٣/ ١٨٩.
(٢) إحياء علوم الدين: ٣/ ٧٢ ـ ٧٣، نشو الصبي: نشأته.
(٣) إحياء علوم الدين: ٣/ ٧٣.
(٤) إحياء علوم الدين: ٣/ ٧٣، لفظ الصبي كان في نسخة الإحياء: الصبيان، والتصويب من كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق وهو للغزالي أيضاً.

ـ تربية للعقل، وتكون بتغذيته بالتصورات والرؤىٰ الصحيحة، والدلالة علىٰ طرائق التفكير، وطرائق الاستدلال، والتوصل إلىٰ النتائج من خلال المقدمات التي تؤدي إليها، وبيان النظريات العلمية، والمشاركة في الأنشطة الفكرية، والمعارف الدنيوية المفيدة، وهذه يقوم بالدور الأكبر فيها المؤسسات التعليمية.

تقسيم مراحل التربية:

تنقسم مراحل عمر الإنسان في الحياة الدنيا إلىٰ مرحلتين كبيرتين:

الأولى: مرحلة غير مرئية عادةً، وهي مرحلة الحمل منذ أن كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلىٰ تكوين العظام وكسوها باللحم، إلىٰ أن يكتمل الحمل ويحدث الوضع.

والثانية: مرحلة مرئية، وهي مرحلة ما بعد الولادة، وهذه يمكن تقسيمها إلىٰ مرحلتين كبيرتين:

ـ مرحلة الطفولة: وهي تبدأ من الميلاد إلىٰ قبيل البلوغ.

ـ ومرحلة البلوغ: وهي تبدأ من بلوغ الحلم وتنتهي مع موت الإنسان، لينتقل بعدها إلىٰ الحياة الآخرة، والتي يكون القبر أول منازلها، وفي داخل مرحلتي الطفولة والبلوغ توجد تقسيمات أخرىٰ، والمقصود أن الإنسان في سيره إلىٰ الآخرة ينتقل من مرحلة إلىٰ أخرىٰ، وفي كل مرحلة هو محتاج إلىٰ تربية وإعداد يناسبها، لذلك ارتبطت مراحل التربية بمراحل التقدم في عمر الإنسان(١).

وفي مرحلة الطفولة يمكننا أن نميز بين مرحلتين واضحتين من حيث التباين والاختلاف، ومن حيث الأحكام المتعلقة بكل منهما، وعلىٰ ذلك فإن مراحل التربية في هذا البحث تنقسم إلىٰ ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الطفولة دون سن التمييز، وهي تبدأ من الولادة، حتىٰ قبيل السنة السابعة تقريباً، أي مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية.

---

(١) بوصول الإنسان إلىٰ مرحلة البلوغ يتوجه إليه التكليف، فيكون مطالباً بأداء الواجبات، والامتناع عن المحرمات، ويظل هذا التكليف طوال حياة الإنسان، لذلك لست أرىٰ تقسيم هذه الفترة من حيث التربية للاشتراك في التكليف، وإن كان يمكن تقسيمها من حيث جهات أخرىٰ.

الثانية: مرحلة الطفولة في سن التمييز، وهي تقريباً من السابعة إلىٰ مقاربة سن البلوغ، أي من السابعة إلىٰ قبيل الخامسة عشرة، وهي تشمل المرحلتين الابتدائية والمتوسطة تقريباً.

الثالثة: مرحلة البلوغ، وهي مرحلة ظهور علامات الرجولة (أو الأنوثة)، وهي مرحلة لزوم الأوامر والنواهي الشرعية(١)، وهي تبدأ من ظهور علامات البلوغ المعروفة، أو من بلوغ سن الخامسة عشر (علىٰ اختلاف بين أهل العلم في تقدير السن التي يكون عندها البلوغ)، وهي تقابل ـ تقريباً ـ بداية المرحلة الثانوية.

وقد استند البحث في هذا التقسيم إلىٰ النصوص الشرعية، التي أشارت إلىٰ الطفولة دون سن التمييز في قوله تعالىٰ: ﴿**أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**...﴾ الآية [**النور**: ٣١]، فيمن يجوز له الدخول علىٰ النساء ورؤية زينتهن، قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك: فلا بأس بدخوله علىٰ النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول علىٰ النساء)(٢)، وذكر البغوي في تفسيرها: (وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد)(٣).

قال أبو بكر الجصاص: (قول مجاهد أظهر؛ لأن معنىٰ أنهم لم يظهروا علىٰ عورات النساء، إنهم لا يميزون بين عورات النساء والرجال، لصغرهم وقلة

(١) هناك حالات تختلف فيها بعض الأحكام بالنسبة لبعض البالغين، كمن يضعف عن القيام ببعض التكاليف لكبر سنِّه، لكن هذا في حقيقته ليس مرتبطاً بكبر السن، وإنما مرتبط بالحالة الصحية، فرُبّ شيخ بلغ مائة سنة وهو قادر علىٰ القيام بما وجب عليه بهمّة ونشاط عجيبين، ورُبّ رجل لم يتجاوز الخمسين وعنده من الأمراض والأعذار ما يوجب التخفيف والترخص، لكن هذا لا يقدح في عموم خطاب التكليف لجميع البالغين.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٧٨.

(٣) تفسير البغوي: ١/ ٣٢.

معرفتهم بذلك، وقد أمر الله ـ تعالىٰ ـ الطفل الذي قد عرف عورات النساء بالاستئذان في الأوقات الثلاثة، بقوله: ﴿ **لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ...** ﴾ الآية [النور: ٥٨]، وأراد به الذي عرف ذلك واطلع علىٰ عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان أصغر من ذلك)(١).

كما جاءت الإشارة إلىٰ الطفولة في سن التمييز، وذلك في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ...** ﴾ الآية [النور: ٥٨]. فيمن ينبغي عليهم الاستئذان في الدخول في أوقات خلوة الرجل بزوجه، فالذين لم يبلغوا الحلم هنا هم الأطفال المميزون، وهم (الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا)(٢)، وبيَّن أبو السعود في تفسيره أنهم: (الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود، والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله)(٣)، فهم الذين فارقوا الطفولية غير المميزة ولم يدخلوا بعد في البلوغ.

كما جاءت الإشارة إلىٰ مرحلة البلوغ في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...** ﴾ الآية [النور: ٥٩]. وهذا في البالغ، وهذا التقسيم مشاهد في حياة الإنسان.

وقد جاء التقسيم نفسه في السنة النبوية كما دل علىٰ ذلك قوله ﷺ: «علِّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر»(٤)، فدون السبع هو دون سن التمييز، والسبع وما بعدها هو سن التمييز.

وليس هناك من تحديد عمري قاطع في تحديد سن كل مرحلة، إذ هذا يختلف باختلاف البيئات والأشخاص، لكن الحديث يدلنا علىٰ الأغلب بالنسبة

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٥/ ١٧٧.
(٢) تفسير البغوي: ١/ ٦٠.
(٣) تفسير أبي السعود: ٦/ ١٩٣.
(٤) صحيح ابن خزيمة: ٢/ ١٠٢، والحاكم في المستدرك: ١/ ٣٨٩، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والترمذي: كتاب الصلاة، رقم ٣٧٢، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود: كتاب الصلاة، رقم٤١٧، وأحمد: رقم ٦٤٦٧ كلاهما بلفظ «مروا» بدلاً من «علموا».

للناس، وهو أن دون سن التمييز يكون الأغلب فيه ما دون السابعة ، وأن السابعة وما فوقها الغالب فيها هو سن التمييز، وكلما كبر الطفل عن ذلك كان أكثر تمييزاً، حتى إنه ليؤمر وينهى ويعاقب على بعض المخالفات، وذلك إلى أن يبلغ الحلم، فإذا بلغ الحلم جرى عليه القلم.

وبذلك يتبين الأصل الذي يرجع إليه التقسيم في هذا البحث، ولا شك أن تقسيمات اعتبرها الشارع وأناط بها بعض الأحكام، أولى من تقسيمات لم يعتبرها ولم يربط بها أحكاماً، لاسيما إذا كانت تلك التقسيمات فيها ما يتعارض مع الشرع.

ومن المهم في النهاية ملاحظة أن مراحل النمو متداخلة، ويصعب الفصل بينها فصلاً حاداً (عدا حالة البلوغ)، وهذا الفصل الحاد بين المراحل لا تتضح خصائصه إلا في المناطق المتباعدة من هذه المراحل، أما في مناطق الاقتراب والاتصال، أو عند نهاية مرحلة وبداية التي تليها، فإن ذلك يصعب، كما أن هناك فروقاً فردية بين أقران المرحلة الواحدة لا تخفى على المربين، لكن هذا لا يخرق القاعدة، ويبقى مع ذلك هذا التقسيم صالحاً - إن شاء الله تعالى - في الأغلب الأعم، مع مراعاة هذا التداخل.

هدف التربية العام:

المجتمع يتكون من عدة وحدات إنسانية من الشعوب والقبائل، كما قال الله - تعالى -: ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...** ﴾ الآية [**الحجرات**: ١٣]، وأصغر وحدة مترابطة تتكون منها هذه الوحدات هي الأسرة، التي تتكون من الوالدين والأولاد من البنين والبنات، وهي بذلك مجموعة من الأفراد المترابطة فيما بينها برباط وثيق، وبتربية هذه الأفراد تربية حسنة، يحدث للمجتمع ما ننشده له وفق هذه التربية.

ومن هنا يمكننا أن نقول: إن هدف التربية العام هو تنشئة الفرد على أنه عضو صالح في مجتمعه، تنشئة تجعله قادراً على فهم ثقافة مجتمعه، وتمثُّلها،

والانتفاع بها، والسعي في تطوير مجتمعه ليحدث التوافق بين الواقع العملي والفكر النظري.

وفي حالة المجتمع الإسلامي يكون هدف التربية العام هو تنشئة الفرد بوصفه لبنةً من لبنات بناء المجتمع الفاهم لحقائق الإسلام فهماً صحيحاً، والعامل بما دلت عليه، مع المشاركة الفعالة في عمارة المجتمع وتطويره، وتبليغ رسالة الله إلىٰ العالمين؛ ليحقق الغاية التي خُلق من أجلها، كلٌّ حسب استعداداته وقدراته التي منحها الله له، ومن هذا الهدف العام تنتج الأهداف الفرعية التفصيلية التي تناسب كل مرحلة زمنية، والتي تتكامل فيما بينها؛ لتبني في النهاية الشخصية المسلمة السوية.

حكم التربية الصحيحة:

التربية كما أنها عمل أخلاقي والتزام أدبي، من والد الطفل أو وليه يقوم بها بنفسه، أو يعهد إلىٰ من يقوم بها نيابة عنه، أو مشاركته فيها عند الحاجة إلىٰ ذلك، لكنها في حقيقة وضعها تزيد عن ذلك بكثير، فقد دلت الأدلة الشرعية علىٰ أنه يجب علىٰ الوالدين والأولياء صيانة الأطفال والصبيان وحفظهم ورعايتهم وتأديبهم إلىٰ أن يبلغوا، فمن ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...**﴾ الآية [**التحريم**: ٦]، قال قتادة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (يقيهم: أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها)(١)، وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (أي: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هملاً؛ فتأكلهم النار يوم القيامة)(٢).

ومنها قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وفيه: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة

(١) تفسير ابن جرير الطبري: ١٢/١٥٦.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣/١٦٩.

عن رعيتها . . . وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»(١)، ومنها قوله ﷺ: «علِّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»(٢)، والأمر دليل الوجوب.

وقال البيهقي: (الستون من شعب الإيمان: حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ الآية [التحريم: ٦]، قال الحسن: أي: مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير، وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: علّموهم أدّبوهم، ولحديث أنس في صحيح مسلم: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا وضم أصبعيه»(٣).

وقد قص علينا القرآن الكريم بعضاً من سير الأنبياء والصالحين في تربية أولادهم وأهليهم، فقال عن إسماعيل ـ عليه السلام ـ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ...﴾ الآية [مريم: ٥٥]. وهذا نوح ـ عليه السلام ـ وهو يخاطب ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]. وهذا لقمان يعظ ابنه ويقول له: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وقال له في ذلك وصايا كثيرة: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ...﴾ الآية [لقمان: ١٦ – ١٧] إلى نهاية وصاياه العظيمة التي اشتملت عليها الآيات، فالتربية التي تؤهل الإنسان لفهم دينه والعمل به، والتقيد بأحكامه، وكذلك التربية التي تؤهل الإنسان للقيام بدوره في الحياة، بحيث لا يكون عالة ولا كلاً على غيره، هي مما يجب على ولي الطفل أو الصبي.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، رقم٨٤٤، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم ٣٤٠٨.

(٢) صحيح ابن خزيمة: ٢ / ١٠٢، والحاكم في المستدرك: ١ / ٣٨٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والترمذي: كتاب الصلاة، رقم٣٧٢، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود: كتاب الصلاة، رقم٤١٧، وأحمد: رقم ٦٤٦٧، كلاهما بلفظ «مروا» بدلاً من «علموا».

(٣) مختصر شعب الإيمان، للبيهقي، اختصره أبو المعالي القزويني.

الفصل الأول

مرحلة الطفولة دون سنّ التمييز

المبحث الأول : الخصائص والمميزات .

المبحث الثاني : العوائق والمشكلات .

المبحث الثالث : الأساليب والوسائل .

المبحث الرابع : الثواب والعقاب .

المبحث الخامس : التوجيهات والنصائح .

الفصل الأول
الطفولة دون سنّ التمييز

الطفولة دون سن التمييز هي المرحلة العمرية التي تسبق دخول الطفل إلىٰ المدرسة الابتدائية تقريباً، وهي تمتد منذ ولادته إلىٰ خمس أو ست، إلىٰ ما دون السابعة من عمره.

وهي من المراحل الهامة جداً في حياة الإنسان، فإنها بمنزلة الأساس لما بعدها من المراحل، وعليها ينبني ما يليها.

وقد بين ذلك الرسول ﷺ في قوله: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة، حتىٰ يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه وينصرانه»(١)، فإذا تكلم وبَيَّن بلسانه، نقله أبواه إلىٰ دينهما إذا لم يكونا مسلمين، مما يبين أهمية هذه المرحلة، وما يمكن أن تؤثر فيه علىٰ الطفل الصغير عن طريق تربيته وتهيئته وتنشئته، حتىٰ يشب علىٰ ما عوَّده أبوه، كما قال الشاعر يصف ذلك:

وينشأ ناشئ الفتيان منَّا   علىٰ ما كان عوَّده أبوه

وتنبع أهمية مرحلة الطفولة من كونها طويلة قد تصل إلىٰ خُمْس عمر الإنسان أو أكثر، وهو يحتاج فيها إلىٰ عناية خاصة، تناسب وضعه ونموه، كما أن الطفل يكون قابلاً للتوجيه مستعداً للاستقبال، وأخيراً هي مرحلة إعداد لما يستقبل من الأيام(٢).

وقد أكدت كثير من الدراسات الحديثة علىٰ أهمية التربية في السنوات الأولىٰ من عمر الإنسان، حيث تقوم بدور مهم في تشكيل شخصيته، وتكوين اتجاهاته وميوله ونظرته إلىٰ الحياة، حيث يتعلم كثيراً من الخبرات التي تساعده علىٰ النمو السليم في كافة جوانبه(٣).

(١) مسند أبي يعلىٰ: ٢ / ٢٤٠، وقال محققه الشيخ حسين أسد: رجاله ثقات.
(٢) انظر: ثقافة الطفل المسلم، لـ: أحمد بن عبد العزيز الحلبي ص ٥٧ ـ ٦٣.
(٣) انظر: أصول التربية الوقائية للطفل في الإسلام، لـ: د/ حسين بانبيلة ص ٦٥.

المبحث الأول
الخصائص والمميزات

تتميز هذه المرحلة عما بعدها من المراحل بعدة مميزات وخصائص ذات أهمية خاصة، ومن أهمها:

١ ـ توحّد جهة التربية في غالب الأحيان:

تعتمد التربية في هذه المرحلة بصورة رئيسة على الأبوين، إذ هما اللذان يقومان على تنشئة الطفل وتغذيته، وتنمية مداركه وأحاسيسه، وضبط انفعالاته وتصرفاته تجاه المواقف المتعددة.

وفي هذه المرحلة يكون التدخل الخارجي في التأثير في التربية في أقل درجاته بالنسبة لبقية المراحل، مما يوفر فرصة عظيمة للوالدين في التفرد بتربية أولادهما، ينبغي عليهما أن يقتنصاها؛ لأنها لا تكرر، وهذا يعني أن هذه المرحلة هي أنسب المراحل التي يستطيع فيها الوالدان تربية أولادهما وفق إرادتهما وثقافتهما، من غير مزاحمة أو مشاركة خارجية في التأثير، إلا إذا تخلى الوالدان عن مهمتهما الرئيسة التي أُنيطت بهما، وتركا أمر تربية الطفل إلى الإخوة والأخوات، أو الأقارب، أو الخدم والسائقين، أو وسيلة الإعلام ذائعة الانتشار في كثير من البيوت (التلفاز).

٢ ـ تعلُّق الطفل بوالديه :

يتعلق الطفل بوالديه تعلُّقاً شديداً، إذ هما عنده مصدر الأمان، ومظهر القوة والصواب، فالطفل يحتمي بوالديه عند إحساسه بالخطر، كما أنه يرى فيهما القدرة والقوة على فعل أي شيء، وما يتخذانه من قرار أو ما يقولانه أو يفعلانه هو معيار الصواب، فلا ينبغي أن يظهر من الوالدين وخاصة الأب جبن أو خوف

في المواقف الصعبة، كما لا ينبغي أن يظهر تردده وحيرته إزاء بعض المواقف، فإن هذا له تأثيره السلبي علىٰ شخصية الطفل.

وهذا يعني أن يجتهد الأبوان في تلك المرحلة في تنشئة الطفل علىٰ ما يريدان من السلوكيات والأخلاقيات الحسنة، ولا تقتصر مهمتهما علىٰ توفير المأكل والمشرب والملبس والمسكن، أو العناية بالصحة والجسد والنظافة مع إهمال القلب والروح والعقل، فإن توفير المأكل والمشرب تقوم به كثير من المخلوقات بوجه إجمالي، ويبقىٰ للإنسان تفرده وتميزه علىٰ سائر المخلوقات.

٣ ـ التقليد والمحاكاة:

يميل الطفل في هذه المرحلة العمرية إلىٰ تقليد والديه، كلٌّ فيما يلائمه ويتوافق مع نوعه، فالابن يميل في الغالب إلىٰ تقليد الأب، والبنت تميل في الغالب إلىٰ تقليد الأم، وهذه الميزة هي في حقيقتها مظهر من مظاهر تعلق الطفل بوالديه، ومراعاة هذه الميزة لها دور كبير في تربية الطفل، وفي المحافظة علىٰ سلامته.

فالتصرف الحسن الذي ليس من ورائه خطورة، لا يمنع الطفل من تقليد المربي فيه، حتىٰ وإن كان لا يحسنه، فقد يرىٰ الطفل أمه في البيت وهي تصلي فيحاول أن يقلدها، فلا ينبغي منعه من ذلك، وإن كان يخلط فيها أو يفعل ما لا ينبغي، فإن تركه يفعل ذلك هو من وسائل تعويده علىٰ أداء الصلاة، بل يستحسن أن تكون له سجادة صغيرة علىٰ قدره حتىٰ يصلي وقت الصلاة مع أمه ويشجع علىٰ ذلك.

وكذلك التصرف السيئ أو السلوك غير المحمود لا ينبغي أن يظهر من الأبوين أو أحدهما أمام الطفل، فإذا كان أحد الأبوين مبتلىٰ بشيء من ذلك كشرب الدخان مثلاً، فإن الواجب عليه أن يتوب إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ من هذا العمل، وفي الوقت نفسه لا ينبغي أن يراه طفله علىٰ هذا التصرف.

كما أن التصرفات الخطرة وإن لم تكن خاطئة أو محرمة فلا ينبغي فعلها أمام الطفل؛ لأنه قد يحاول تقليدها على انفراد بعد خروج أو غياب الأب أو الأم، وهو لا يحسن في الوقت نفسه ضوابطها التي تجعلها آمنة، كإشعال الموقد مثلاً.

كما أن السلوك الحسن المرغوب فيه ينبغي إشاعته أمام الطفل والإكثار منه، كاحترام الوالدين لبعضهما، أو تنظيف المكان الذي أحدث الإنسان فيه ما اقتضى تلويثه، أو تنظيم الأغراض ووضعها في أماكنها المعدة لها، أو غسل الأيدي المتسخة قبل الأكل، أو التسمية قبله والحمد بعد نهايته، ونحو ذلك من الأمور.

وينبغي على المربي أن يستفيد من هذه الميزة، في تنمية الجانب اللغوي عند الطفل، عن طريق القصة المشوقة والحكاية الطريفة، التي ينصت لها الأطفال بشغف، ثم يطلب منه أن يقوم بالدور نفسه الذي قام به مربيه، والكل يستمعون إليه ويشجعونه على المضي قدماً في الكلام.

والتربية في هذه المرحلة عن طريق القدوة أولى من الاقتصار على التربية عن طريق الأمر والنهي، أو افعل ولا تفعل؛ لأن القدوة تَرسُخ في ذهنه وتكون أدعى للعمل بها من الأوامر والتكليفات، التي تمثل عبئاً بالنسبة له يحاول التخلص منه.

إننا كثيراً ما نرى الطفلة الصغيرة - بعدما تعودت على رؤية والدتها وهي تنظف الأطباق في المطبخ بعد كل أكلة - نراها تبادر إلى المطبخ لغسل الأطباق، من غير أن يُطلب منها ذلك.

لكن التقليد له جانبه السلبي والخطير، خاصة فيما يراه الطفل على شاشة التلفاز، حيث يميل إلى تقليد ما يراه، وهنا تظهر الخطورة من مشاهدته للأفلام الخرافية المعدة للأطفال، والتي يطير فيها الإنسان في الهواء، فقد يلقى الطفل حتفه عندما يريد تقليد ذلك.

وكذلك خطورة المشاهد التي تعرض أوضاعاً وتصرفات غير سوية في علاقة

الرجل بالمرأة، فقد يحاول أن يقلد ذلك مع أخته المناظرة له في السن، وهو لا يدرك خطورة هذا المسلك، فينبغي على المربي أن يكون واعياً لذلك، ولا تدفعه رغبته في أخذ قسط من الراحة أو التفرغ لبعض الأعمال المهمة، إلى أن يطلق لهم العنان في رؤية كل ما يعرض على هذه الشاشة، على أمل أن ينشغلوا عنه ويتركوه.

٤ـ كثرة الاعتماد على المحسوسات :

يعتمد الطفل كثيراً في هذه المرحلة على المحسوسات، بينما لا يميل أو يستوعب القضايا المجردة أو المعنوية، التي لم يسبق أن مرَّ على ذهنه نموذج واقعي لها، أو لا يوجد لديه خبرة عملية تتعلق بها.

فالطفل في هذه المرحلة إذا قال له أبوه أو مربيه : أحبك، فقد لا تعني عنده شيئاً ذا بال، بينما لو ضمّه إليه أو احتضنه أو قبّله أو أعطاه شيئاً يحبه، أو حقق له شيئاً طلبه، فإنه سوف يشعر بحقيقة حب والده أو مربيه له أكثر من تلك الكلمة السابقة.

وقد يرى الطفل جذوة من النار، يعجبه لونها وتوهجها، ومهما حُدِّث عن خطورتها وضررها على من يلمسها، فإنه قد لا يستجيب أو لا يستوعب ما قيل له إلا عندما يلمسها بيده ويذوق جلده من حرِّها، وحينئذ تتكون لديه خبرة تعينه على التعامل معها فيما بعد.

٥ ـ الرغبة في الاستكشاف والتعرف على البيئة المحيطة :

وفي هذه المرحلة ـ نظراً لضعف أو قلة المخزون الذي يربط بين الأفكار والألفاظ من جهة، وبين الخبرة الواقعية من جهة أخرى ـ يكثر سؤال الطفل عن الأشياء المادية من حوله؛ لأنها عالم غريب بالنسبة له، وهذا الحرص على السؤال والاستفسار علامة للحيوية واللياقة العقلية، وعلى المربي أن ينتهز هذه الفرصة ليزوّده بكثير من المعلومات، ولا ينبغي له أن ينهر الطفل أو يتبرم

لكثرة أسئلته، بل ينبغي أن يحرص علىٰ الجواب علىٰ كل الأسئلة، بإجابات واضحة وقصيرة وسهلة الحفظ؛ لأن هذه وسيلة فعالة حتىٰ يستزيد الطفل من المعلومات في هذا الجانب، وحتىٰ تتفاعل الخبرة الواقعية مع الألفاظ والأفكار، فتزداد حصيلته اللغوية وقدرته علىٰ تكوين الجمل ذات المعنىٰ الصحيح من جانب آخر، وينبغي علىٰ المربي في هذه المرحلة أن يجتهد في إعطاء الجواب الصحيح، ولا يحاول إلهاء الطفل بأي جواب يكفه عن السؤال.

كما يمكن للمربي أن يستغل هذه الميزة في إعطاء الطفل بعض الألعاب القابلة للفك والتركيب، ليقوم بتركيبها بعد فكها، وإعادتها لوضعها الأول، فيتحقق له بذلك المتعة النفسية، وتمرين عضلات الأيدي، إلىٰ جانب التعرف علىٰ اللعبة والخبرة بها.

٦ ـ التلقين:

في هذه المرحلة العمرية يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لُقنها، وإذا لُقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة، فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن، وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تستغل هذه الفترة في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور، مع الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب ونحو ذلك، ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب.

في بعض المجتمعات تعمد كثير من الأسر إلىٰ إخراج الطفل وهو بَعْدُ صغير إلىٰ ما يعرف برياض الأطفال، لتعلم القراءة والكتابة وبعض الأنشطة الأخرىٰ، وهذا إن كان يظهر فيه بعض الفائدة، إلا أن فائدته ـ فيما أرىٰ ـ لا توازي الخسارة الكبيرة لانتزاع الطفل الصغير من محضنه الأساس، حيث يخرج الطفل في سن صغيرة ـ في غالب الأحيان ثلاث سنوات ـ عن بيئته الطبيعية ويبتعد عن والدته وعن تربيتها، مما يعجل بتدخل المؤثرات الخارجية في تربية الطفل قبل أن تكتمل

تربيته في المنزل، فيحدث من ذلك تداخل وتنازع في التربية بين المنزل وبين البيئة التي توجد في رياض الأطفال، وخاصة بعد هبوب رياح العولمة العاتية، التي تحاول نشر وتعميم ثقافات وسلوكيات مجتمعات مخالفة لمجتمعاتنا الإسلامية عبر وسائل متعددة، منها المناهج التعليمية.

لكن قد تكون هناك حالات وحاجات تدفع الأسرة إلىٰ ذلك، كأن تكون الأم تعمل في خارج المنزل، ولا تستطيع الاستغناء عن العمل لحاجة الأسرة إلىٰ العائد المادي من ورائه، فينبغي علىٰ المربي أن يختار في هذه الحالة رياض الأطفال التي تكون محققة لما يتمناه من التربية لولده، حتىٰ لو كان أداؤها التعليمي ليس في الدرجة العليا أو العالية، ولا ينبغي أن يفضل في هذه الحالة الأداء التعليمي علىٰ الأداء التربوي.

٧ ـ زيادة الطاقة الحركية وحيويتها :

للطفل طاقة حركية كبيرة، يظل يمارسها طول فترة يقظته، وهي علامة صحة جسدية ونفسية، وهذه الطاقة الحيوية إذا لم يقم المربي باستغلالها استغلالاً حسناً فسوف تسبب إرهاقاً للمربي، لكن لا ينبغي منع الطفل منها كلياً، بل علىٰ المربي أن يشغل الطفل بما يستنفد فيه هذه الطاقة قبل أن يشغله، ومن الأفضل أن تتنوع مظاهر النشاط والحركة فلا تقتصر علىٰ نوع واحد كاللعب بالكرة، بل يكون إلىٰ جانب ذلك الجري، وركوب الدراجة، ونحو ذلك.

ومن الأمور غير الجيدة في التعامل مع هذه الظاهرة أن يعمد بعض المربين إلىٰ سلطة الأمر والنهي فقط، من غير أن يشغل الطفل بشيء، فإن الطفل بعد لحظات معدودات من الهدوء والسكينة التزاماً بالتعليمات، سرعان ما يعود إلىٰ ما كان عليه وكأن شيئاً لم يحدث.

وقد تتكرر هذه الحالة، مما يدفع بعض المربين إلىٰ معاقبة الطفل، أو تخويفه بأشياء يمتد تأثيرها علىٰ الطفل لسنوات طويلة، كتخويفه بالجن والعفاريت،

مما يعرض شخصيته للاهتزاز والجبن، خاصة في الأماكن المظلمة، ولو تنبه المربي أن الحركة الكثيرة من خصائص المرحلة، لكان عليه أن يحل المشكلة بطريقة أخرىٰ فيها فائدة للطفل، بأن يشغله بشيء يفرغ الطفل فيه طاقته، وفي الوقت نفسه يستفيد منه كبعض الألعاب المفيدة، أو يكلفه بعمل يسير في مستوىٰ قدرته واستعداده.

المبحث الثاني
العوائق والمشكلات

التربية في أي مرحلة من المراحل تعترضها عقبات ومشكلات، وهي تختلف من مرحلة عمرية إلىٰ مرحلة أخرىٰ، وإن كانت المراحل تتداخل عند الأطراف أي: مناطق تماس المراحل، أو مناطق الاقتراب والاتصال، وما نسجله هنا هو رأي أغلبي وليس كلياً، وهذا من طبيعة مثل تلك الدراسات.

والعوائق والمشكلات الراجعة للطفل نفسه، تعد من وجه آخر من الخصائص والمميزات التي يتميز بها، ولكن من الناحية السلبية، وقد جرت عادة الناس علىٰ تسمية الأمور الإيجابية بالمميزات، وتسمية الأمور السلبية بالعوائق والمشكلات، مع أن كلا الأمرين من الخصائص والمميزات.

فمن أهم العوائق والمشكلات التي تعترض المربي في هذه المرحلة ما يلي:

١ ـ الكذب:

يحاول الطفل أن يحقق بعض المآرب الخاصة به، أو يخفي أثر بعض الأعمال أو التصرفات غير المقبولة، وقد لا تسعفه قدراته للوصول إلىٰ مخرج حسن من ذلك، فيكون أقرب شيء إليه وأيسره عليه هو الكذب، فليكن المربي علىٰ وعي بذلك، ولا يعد كل ما يدلي به الطفل من باب الصدق الذي من أجله يُكذَّب الإنسان الكبير البالغ إذا خالفه.

فقد يقص الطفل لأبيه قصة، ويخبره الرجل الكبير الصادق البالغ بغير ما تكلم به ابنه، فيرىٰ الأب أن الطفل أصدق، وأن الأطفال لا تكذب ولا تعرف الكذب، بل ربما حدث بسبب ذلك بعض المشكلات، لكن هذا غير صحيح

بل الكذب عند الطفل أمر سهل؛ لأنه لا يُدرِك قبحه، ولا هو بمكلف حتىٰ تردعه الزواجر الشرعية عنه.

وعلىٰ المربي أن يستعين بالأدلة والقرائن حتىٰ يتبين له أَصدقَ الطفل أم كذب، ذلك أن مقدرة الطفل في غالب الأحيان علىٰ الكذب المرتب ترتيباً حسناً مقدرة ضعيفة، فمن السهل جداً اكتشاف الكذب الذي اختلقه.

وعند اكتشاف المربي لكذب الطفل عليه أن يبين له فساد ذلك، وأن الكذب ليس من أخلاق الأطفال المؤدبين، وأن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا يحب الكذاب، وكذلك رسوله ﷺ، وأن المربي ـ أيضاً ـ لا يحب الكذاب، ويذكر له قصة موجزة تبين ضرر الكذب، ويدعوه إلىٰ أن يستغفر الله ـ تعالىٰ ـ مما فعل، ويعد بأن لا يفعل ذلك مرة أخرىٰ، ويدعوه ـ أيضاً ـ إلىٰ الصدق، ويبين له أن الله يحب الصادق، وكذلك رسوله ﷺ، وأن المربي ـ أيضاً ـ يحب الصادق، وأن من محبته للصدق فإنه يكافئ عليه، ويشجعه عند الصدق بأن يعطيه شيئاً يحبه.

لكن لا ينبغي له في حالة الكذب أن يخوفه تخويفاً شديداً، أو يعاقبه عقاباً مؤلماً مما لا يتناسب مع المرحلة العمرية؛ لأن العقاب الشديد قد يحمله علىٰ التمادي في الكذب والإصرار الشديد علىٰ ما كذب فيه؛ أملاً في النجاة من العقاب، كما لا ينبغي له أن يعيره بذلك كل فترة؛ لأن هذا يكسر نفسه، وربما رسخ السلوك الفاسد فيها.

وينبغي هنا الانتباه أنه في بعض الأحيان لا يكون كذب الطفل في هذه المرحلة من باب تعمد الإخبار بغير الحقيقة، بل هو من باب الغلط أو الخطأ الناتج من اختلاط الأمور لديه، لاسيما وهو في هذه المرحلة لا يحسن ضبط الوقائع، خاصة الوقائع ذات التفاصيل الكثيرة، كما أن هناك قصوراً عند الأطفال في إدراك البعد الزمني، مما يترتب عليه خلط بين الماضي والحاضر، مما يوقعه فيما ظاهره الكذب(١)، وقد يخلط ـ أيضاً ـ ما يراه في عالم المنام بما هو في عالم

(١) انظر: علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، لـ: د/ هشام محمد مخيمر، ص ١٠٦.

اليقظة، فيقص ما يراه في المنام على أنه حقيقة وقعت، وقد يقع المربون بسبب ذلك في ورطات، خاصة إذا كان ما يذكره الطفل مما لا يقبل ديناً أو خلقاً.

٢ ـ العبث بالأشياء :

حب التعرف على البيئة المحيطة واستكشاف الأمور الغريبة أمر موجود عند الأطفال، وهو أمر مرغوب فيه ينبغي أن يشجع عليه، لكن المشكلة تظهر عندما ينقلب هذا السلوك الحسن إلى عكسه من حيث العبث بها أو تخريبها، وهذا إلى جانب أنه يشغله عن متابعة مربيه والاستفادة منه، فقد تتلف هذه الأشياء في أيديهم، وربما تسببت في إلحاق الضرر بهم، خاصة أنهم لا يُقدِّرون أهميتها ولا يعلمون خطورتها، ولهذا لا ينبغي للمربي أن يترك الطفل بمفرده في مكان توجد فيه مثل هذه الأشياء، فإن ذلك سوف يدعوه للعبث بها، وخاصة عند خلو المكان من المراقب.

كما ينبغي أن يكون المربي حذراً وهو يتعامل مع الأشياء الخطرة أمام الطفل، بحيث لا يتمكن الطفل من التعامل معها لو قدر انفراده بها، كلٌّ حسب حاله، كوضع كلمة سر مثلاً، أو وضع قُفْل، أو ما شابه ذلك، مما يحول بينه وبينها، ولا يكتفي فقط بالنصح أو التحذير فإن الطفل قد لا يقدره حق قدره.

وقد يكون من المناسب في هذه الحالة أن يترك بين يدي الطفل ما يمكن أن ينشغل به، مما لا يترتب على استخدامه خطورة على الطفل أو أذى، ولا يتسخ به المكان، مثل بعض المكعبات البلاستيكية ، والتي هي في الوقت نفسه مما يمكن الاستفادة منها تربوياً في عمل بعض التركيبات التي تنمي التفكير عنده.

وأما الأشياء القابلة للكسر أو التلف فإنه ينبغي وضعها في أماكن بحيث لا يتمكن الطفل من الوصول إليها، في الوقت الذي نبعد عنه أي وسيلة يمكن استخدامها للتسلق والوصول إلى مكانها؛ لأن هذا فيه خطورة كبيرة عليه.

٣ ـ العناد :

بعض الأطفال يجد نوعاً من الاهتمام الزائد به عن الحد المعتاد من والديه، كأن يكون هو الابن البكر، أو الطفل الوحيد، أو الذكر الوحيد بين مجموعة

من الأخوات الإناث، فيولد هذا عنده شعوراً بأهميته الفائقة و بمكانته لديهم، مما قد يحمله في بعض المواقف على العناد وترك الاستجابة لتعليمات الوالدين فيصرّ على مطلوبه مثلاً، ويستعين على تحقيقه بكل سبيل، فمن ذلك ـ مثلاً ـ البكاء والتمادي فيه، والصياح والطرق على الأبواب أو ضرب الأرض بالأرجل، أو محاولة تخريب بعض الأشياء، خاصة عند وجود الضيوف أو الغرباء؛ حتى يحرج مربيه كي يستجيب لطلبه.

وقد يلجأ الطفل في هذه الحالة إلى الأب أو الأم، أيهما أكثر ضعفاً من الآخر في الاستجابة له، ولذا ينبغي أن يكون هناك توافق بين الأبوين في ذلك[١]، كما قد يلجأ إلى أحد الجدين أو الأقارب للغرض نفسه.

وينبغي أن يكون المربي حكيماً في ذلك، فيحاول تلافي أسباب العناد أولاً قبل البحث عن العلاج، فلا يبالغ في تدليله أو تفضيله، أو تعويده الاستجابة لجميع طلباته، كما لا يمنع عنه ما لا ينبغي منعه، ولا يتعامل مع الممنوعات بمقياس واحد، إذ بعض الممنوعات يكون فعلها من قبيل الإخلال بكمال الأخلاق والسلوك الحسن، وبعضها يكون فعله من قبيل الإخلال بأصل الأخلاق والسلوك الحسن، فلا ينزل الجميع منزلة واحدة.

وإذا منع بعد الالتزام بهذه الضوابط فليكن حازماً في منعه، ولا يتأثر بوسائل الطفل التي يحاول أن يتغلب بها على المنع، لأن الاستجابة له سوف تدفعه لممارسة ذلك التصرف عند كل منع، وسيرسخ عنده هذا السلوك حتى بعدما يكبر، وقد يتعامل به مع زملاء الدراسة أو زملاء العمل، وعلى المربي أن يكون أكثر إصراراً وحرصاً على تربية الطفل وتأديبه، من إصرار الطفل وحرصه على تحقيق مطلوبه.

٤ ـ عدم تقدير الأمور تقديراً صحيحاً :

قدرة الطفل على التفكير في هذه المرحلة محدودة، فلا يستطيع أن يفهم بصورة جيدة المعاني المجردة، وهذا أمر يحد من استيعابه للمعلومات التي يريد

(١) انظر: علم نفس المراحل العمرية، لـ: أ. د/ عمر بن عبد الرحمن المفدى ص ٢٢٣.

المربي أن يغذي بها عقله وفكره، فينبغي للمربي أن يبتعد في هذه المرحلة قدر ما يمكنه عن تلك المعاني، لكنه في حالة الاحتياج إليها يمكنه الاستعانة على تقريب تلك المعاني وتوضيحها بضرب الأمثلة من واقع بيئة الطفل.

كما أن تعامل الطفل مع المسافات والأبعاد لا يكشف عن تقدير حقيقي لخطورتها، فقد يحاول الطفل ـ مثلاً ـ أن يتعرف على الشارع وما يموج فيه من حركة، فيصعد إلى النافذة التي في مسكنه ـ التي تكون في أحيان كثيرة على ارتفاع كبير من الأرض، قد يصل إلى عشرة أمتار أو أكثر ـ ويطل منها على الشارع، غير مقدر للخطورة البالغة التي يتعرض لها.

ومن أكبر الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها المربي في هذه الحالة، أن يبادر بنهر الطفل أو الصياح عليه، مما قد يدفعه لأن يقفز إلى الخارج خوفاً من العقاب، وهو غير مقدر لهذه الخطورة البالغة، فيقع المحذور الذي خشيه المربي، ولكن عليه أن يمشي إليه بحذر بالغ، بحيث لا يراه ولا يحس به، حتى يمسك به ويُنزِله، أو إذا لم يمكنه ذلك حيث إن الطفل سيراه، فلا ينبغي أن يظهر منه أية اعتراض، بل يظهر منه الموافقة على ذلك، حتى يعطيه الأمان ثم يمسك به، ثم يبدأ بعد ذلك في تعليمه، أو عقابه حسب ما هو أنسب للموقف، كما أن الأطفال في هذه السن قد تستهويهم عملية إلقاء الأشياء في الخارج، مما يمكن أن يتسبب عنه ضرر كبير للمارة، أو كسر للأشياء أو فقدانها، وبالممكن في هذه الحالة أن يُجعل على النوافذ شبكة من حديد لا تسمح بخروج الطفل أو الأشياء، وهذا مجرد مثال يسير المربي على منواله وليس هو مقصوداً لذاته.

٥ ـ الأنانية وحب الاستئثار بالأشياء :

الرغبة في التملك أمر فُطرت عليه النفوس، وينبغي تنمية هذا الأمر عند الطفل بأن تخصص له أشياء، لا يشركه فيها أحد، ويطلب منه الحفاظ عليها والعناية بها، ولا ينبغي أن نقاوم هذه الغريزة، لكن الذي تنبغي مقاومته هو محاولة التملك الذي يكون بغير الحق، والطفل في هذه المرحلة قد لا يميز بين

الذي له والذي لغيره، فيحاول الحصول على مراده ولو عن طريق الغصب أو السرقة أو ما شابه ذلك من التصرفات غير المقبولة، وينسبها إلى نفسه.

وقد يكون من أسباب ذلك إفراط الوالدين في تدليل الطفل بحيث لا يصبر عن تحقيق مطالبه، أو تقليده لمن يفعل هذا السلوك، كما قد تكون رغبته في أن يكون مثل قرنائه دافعاً له إلى ذلك.

وقد تكون محاولة تلقين الطفل أفكاراً مجردة في هذا الموضوع، ليست ذات جدوى، فلا بد أن يستعين المربي إلى جانب الموعظة بأمور عملية، ولو بتصميم مواقف من قبله تؤكد هذا الأمر بصورة عملية، فلو أخفى المربي - مثلاً - شيئاً مما يحبه الطفل، ثم بحث عنه الطفل فلم يجده فإن ذلك سيحزنه، ثم يقال له: إن من سُرِقت حاجياته أو أخذت منه عنوة، يمر بمثل موقفك، ومن هنا يدرك وقع ألم السرقة والغصب على النفس.

٦ - العدوانية:

يميل الطفل إلى تأكيد ذاته، عن طريق العديد من التصرفات؛ كالإصرار على رأيه، أو تطلعه لاختيار حاجاته بنفسه، أو أن تكون له الكلمة الأولى في ذلك، أو المبادرة لاتخاذ بعض التصرفات لمواجهة موقف جديد(١)، وكل ذلك ليس فيه ما يمثل مشكلة حقيقية، لكن المشكلة تظهر عندما يحاول بعض الأطفال تأكيد ذاتهم عن طريق العدوان، والذي قد يكون عدواناً على الآخرين، أو قد يكون بإتلاف الأشياء حتى لو كانت ملكاً له.

وقد يكون ذلك بسبب الغيرة أو الغضب في حالة العدوان على الآخرين، كما قد يكون إتلافه للأشياء وتدميره لها بسبب عدم قدرته على فهمها والتعامل معها، مما يترتب عليه مَلَلُهُ منها، وهذا يظهر كثيراً في تعامله مع الألعاب التي لا يفهمها ولا يستطيع الانتفاع بها، فتراه بعد فترة يعمد إلى رميها أو إتلافها.

---

(١) انظر: علم نفس المراحل العمرية، لـ: د/ عمر المفدى ص ٩٤ - ٩٦.

و المربي يعلم أن كثيراً من هذه السلوكيات غير المرغوبة، وإن بدا أثرها صغيراً في أول الأمر لضعف قوة الطفل البدنية، إلا أنها إذا لم تعالج معالجة صحيحة فإنها في غالب الأحيان تكبر معه، ويحتاج المربي هنا أن يصمم ـ أيضاً ـ مواقف تعليمية، الغرض منها أن يدرك الطفل بطريقة عملية ضرر العدوان وفساده، مع الاستعانة ببعض القصص التي تبين عاقبة الظلم والعدوان، ولا بأس من الاستعانة في ذلك ببعض شرائط «الفيديو» أو برامج الحاسوب المنتقاة، التي تظهر فساد العدوان وعاقبته السيئة في صورة عملية.

٧ ـ الملل وقلة الصبر :

انتباه الطفل وتركيزه في هذه المرحلة لا يتجاوز الدقائق المعدودة، لذا فإن الطفل في هذه المرحلة ينتابه الملل بعد فترة قصيرة من بداية الموقف التربوي أو التعليمي، وينصرف عن متابعة مربيه، وينشغل بأمور أخرىٰ كالعبث بحاجياته، أو التحادث مع بعض زملائه، وهنا تظهر من الطفل مشكلة عدم التركيز والشرود عن المربي عند الحديث الطويل، فعلىٰ ذلك قد يكون من الأنسب ألا يزيد وقت عرض الموضوع الواحد عن عدة دقائق، مع مراعاة أن يتخلله من الأمور التي تشد الطفل وتجذبه إلىٰ المربي، حتىٰ يحافظ علىٰ انتباهه وتيقظه، وإبعاد الأشياء التي يمكن أن يعبث أو ينشغل بها.

وقد يكون من المفيد تغيير أماكن الأطفال؛ إبعاداً للرتابة، وتغيير الأوضاع من الوقوف أو الجلوس أو الحركة، بحسب حال الموقف التعليمي أو التربوي، ومن الممكن ـ أيضاً ـ أن يقسم المربي درسه إلىٰ عدة فقرات : ثلاث أو أربع، بحيث يُدخل مثيراً بين كل فقرة والتي تليها؛ لقطع حالة الملل.

في بعض الأحيان قد يحدث أن يستغرق المربي في شرح شيء للطفل، أو يقوم بتعليمه أمراً جديداً، فإذا به يفاجأ بالطفل وهو يسأله سؤالاً بعيداً كل البعد عما يتكلم فيه، وقد يتضجّر المربي من ذلك كثيراً، لكنْ ربما كان حديثه هو السبب في ذلك وهو لا يدري ، حيث أخرج شرحه من مخزون الطفل العقلي شيئاً يربط كلامه به.

وفي مثل هذه الحالات التي تحدث كثيراً، فإنه لا ينبغي نهر الطفل أو معاقبته على ذلك؛ لأنه تكلم في موضوع بعيد جداً عما يتحدث فيه المربي، كما لا ينبغي إهمال سؤاله واستفساره وعدّه شيئاً ثانوياً لا يستحق الجواب أو أنه يضيع الوقت، فإن المربي إذا لم يشبع نفس الطفل في هذا الجانب الذي أثار تطلعه، فقد ينصرف عن المربي طول الوقت بالتفكير فيه، حتى وإن بدا في الظاهر أنه متابع له، بل ينبغي تشجيعه على السؤال والاستفسار، والإشادة بسؤال من لا يعلم عما لا يعلم، مع وضع الضوابط التي تكفل الحفاظ على الوقت، والمربي لا شك في حاجة إلى التدريب للتعود على التصرف السريع في مثل تلك المواقف.

المبحث الثالث
الأساليب والوسائل

الأصل في العبادات التوقيف، أي الاستقبال من المصادر الشرعية، واتباع ما جاء فيها على النحو الذي جاء، بينما الأصل في الأمور العادية المبادرة الإنسانية المنطلقة من الإباحة الشرعية، لكل ما يفيد من غير ضرر، أو مع ضرر مغمور في جانب فائدة أو مصلحة أكبر.

ولا شك أن الرسول ﷺ قد اتبع أساليب تربوية هي في القمة السامقة، أما الوسائل فلا شك أنها كانت مرتبطة أو محكومة بظروف المجتمع وإمكاناته، وتقدّمه التقني، وعلى ذلك فلا يمتنع ـ الآن ـ إضافة وسيلة تناسب العصر وتقدّمه في تطبيق أسلوب أو منهج نبوي.

ويحتاج المربي في هذه المرحلة إلى بعض الأساليب والوسائل التي تمكنه من القيام بدوره التربوي، وإذا كانت الوسيلة أو الطريقة التقليدية القائمة على التلقين لا يمكن الاستغناء عنها أو التقليل من جدواها، وخاصة في هذه السن الصغيرة التي تقتصر فيها مهارات التفكير عند الطفل على الحفظ والتذكر والاسترجاع، حيث لا يتمكن من المهارات العليا كالتحليل والتركيب والتقويم، لكن هذا لا يمنع من أن نضيف إلى ذلك العديد من الأساليب والوسائل المناسبة، فمن ذلك:

■ **التربية بالقصة الحقيقية الهادفة:**

من الأساليب التي ينبغي اعتمادها أسلوب القصة المشوقة، حيث يختار المربي قصة حقيقية، وما أكثر القصص الحقيقية الغنية بكل ما نريد أن نربي أولادنا عليه في مختلف المجالات: من الصدق، والأمانة، وأداء الواجب، والشجاعة،

ومساعدة المحتاج، والعطف على المسكين، وتوقير الكبير، وهكذا، فيقدم المربي قصة أو أكثر مما تؤكد الأدب الذي يريد تربية الطفل عليه وتحقق مراده من سردها.

ومن الأمور المفيدة ـ جداً ـ في هذا المجال أن يستفيد المربي من كتب التراجم، فإن فيها قدراً هائلاً من القصص الحقيقية الغنية بكل ما نحتاج إليه في تربية الطفل، وخاصة غزوات الرسول ﷺ، وتراجم الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ والأبطال والقادة، وقد كان سلفنا الصالح ـ رضي الله تعالى عنهم ـ يجعلون من غزوات الرسول ﷺ وسراياه مادة عظيمة لتربية أطفالهم فـ «عن إسماعيل ابن محمد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا، وسراياه، ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها، «وعن علي ابن الحسين يقول: كنا نُعلم مغازي النبي ﷺ وسراياه، كما نُعلم السورة من القرآن»[١]، وأما افتعال القصص فليس له التأثير نفسه؛ لأن الأولى يسندها ويعضدها تحققها في الواقع وليس مجرد تخيلات.

وقد قص الله ـ تعالى ـ علينا في القرآن أحسن القصص، وفيها من القضايا التربوية الأمور الكثيرة، وكذلك قص الرسول ﷺ على أصحابه قصصاً كثيرة، كما قصت عليه زوجه عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بعض الأخبار المتعلقة بعلاقات بعض الزوجات بأزواجهن فيمن سبقنا من الناس، فقال لها بعد نهاية القصة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[٢]، وهو ما يبين أهمية القصة في الجانب التربوي، فهي ليست مجرد حديث للتفكه أو قطع الأوقات، بل هي كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى**...﴾ الآية [**يوسف**: ١١١]، وهذا ما يؤكد أهمية أن يستفيد المربي من هذا الأسلوب.

قد يستخدم بعض المربين في ذلك قصصاً لم تقع، لكن هذه القصص ينبغي أن تعمد في أسلوبها القصصي المشوق غير المباشر إلى زرع وتنمية كل ما يدعو إليه

(١) الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي، ٢/ ١٥٩.
(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم٤٧٩٠، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم ٤٤٨١.

ديننا من عقائد وأخلاقيات وسلوكيات، وأما القصص التي تقرر عادات وسلوكيات غير إسلامية، أو التي تبث عقيدة مخالفة لعقيدة المسلمين، فهذه كلها مما يجب اجتنابها، حتى وإن كانت تتضمن الإثارة والتشويق، ولا يقال في هذه الحالة : نأخذ ما فيها من المنفعة ثم نعدل للطفل الأخطاء فيما بعد؛ لأنه في هذه المرحلة صفحة بيضاء، وليس من الصواب أن ننقش فيها غير الصواب، فإن ذلك يشتت ذهنه ويجعل الأمور تختلط عليه.

كما ينبغي أن تجتنب القصص الخرافية، أي الخيالية التي لا يمكن أن تتحقق في الواقع، كالحديث ـ مثلاً ـ عن رجل يدخل في جوف عصفور، ثم يظل يتنقل من مكان إلى آخر، للتجسس على الناس، ومتابعة أحوالهم في قصورهم أو بيوتهم أو نحو ذلك، فهي بالإضافة إلى دلالتها على خلق ذميم وهو التجسس، فإنها مخالفة لسنة الله ـ تعالى ـ في الكون، وذلك يبعد الطفل عن الواقع، ويجعله يتعلق بأمور غير قابلة للتحقيق في عالم الواقع، فيغيب بعالمه الخيالي عن عالمه المشهود، وهذا له آثار غير حميدة على الطفل.

وأما القصص الخيالية غير الخرافية، أي: التي لم تقع، لكنها ممكنة الحدوث، وليس فيها استحالة لعدم مناقضتها للنظام الكوني الذي خلقه الله ـ تعالى ـ، وتؤكد على قيم إسلامية، فهذه مما يمكن أن يستفاد منها في ذلك(١).

■ **التربية باللعب الهادف:**

إدخال السرور على نفسية الطفل والترويح عنه مطلب مشروع ولا شك، واللعب الهادف أحد الوسائل التي تستخدم في ذلك، لكن لا ينبغي أن يقتصر دور اللعب على الترويح وإدخال السرور، بل إن اللعب له أغراضه التربوية التي تعمل على بناء شخصية الطفل في جوانبها المتعددة، فهو يقوي جسمه، وينمي تفكيره، ويمد آفاق التواصل الاجتماعي، ويعود على العمل الجماعي،

(١) بيّن الطاهر بن عاشور في تفسيره جواز ذلك، ذكر هذا في تفسير قصة داود ـ عليه السلام ـ مع الخصمين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]، انظر: التحرير والتنوير: ١/ ٣٦١٦.

كما أنه يساعد على تحمل المشاق، وكذلك التدريب على بعض الأمور، وقد كان المسلمون يستعينون باللعب على تعويد الأطفال الصبر على الجوع، عندما كانوا يعودونهم على الصيام، فعن الربيع بنت معوذ قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت: فكنا نصومه بعدُ، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار»(١)، وفي رواية: «ونصنع لهم اللعبة من العهن فنذهب به معنا، فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم»(٢)، كما كانوا يستعينون بها على تعليم البنات رعاية الأولاد، فعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: «دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا ألعب باللعب، فرفع الستر وقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: لعب يا رسول الله. . »الحديث(٣) قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب، من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن)(٤)، وقد كان السلف - رضوان الله تعالى عليهم - يقدرون أهمية اللعب بالنسبة للأطفال فلم يمنعوهم منه، بل كانوا يمنعون من ينهاهم عنه فـ (عن الحسن أنه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت، ومعه عبد الله ابنه فنهاهم، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم)(٥)، بل كان الرسول ﷺ يمر عليهم وهم يلعبون فيسلم عليهم ولا ينهاهم، فعن أنس - رضي الله تعالى عنه -:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، رقم ١٨٢٤.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، رقم ١٩١٩.

(٣) أخرجه ابن حبان: ١٣/ ١٧٤.

(٤) فتح الباري: ١٠ / ٥٢٧، وهناك كلام حول كيفية هذه الصور، وهل هذا قبل النهي عن اتخاذ الصور أم بعده؟ راجعها في المكان المشار إليه إن شئت، لكن تبقى الدلالة قائمة في الاستعانة باللعب على التربية.

(٥) العيال، لابن أبي الدنيا: ٢/ ٧٩١.

(٦) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم ٤٥٣٣، وأحمد في المسند: رقم ١٢٢٦٣، واللفظ له.

«أن النبي ﷺ أتىٰ علىٰ صبيان وهم يلعبون فسلم عليهم»(٦).

وما من شك أن الألعاب التي تناقض أو تعمل علىٰ إضعاف مقومات الشخصية الإسلامية أو جانب من جوانبها، لا ينبغي الالتفات إليها أو التعامل معها، وإن بدت مشوقة أو جميلة، وينبغي في الألعاب مراعاة السلامة الجسدية للطفل، وكذلك الحفاظ علىٰ الأوقات وعدم ضياعها، وألا تؤثر علىٰ الأنشطة اليومية الأخرىٰ للطفل، وينبغي التعامل بحذر - في هذا الخصوص - مع الألعاب الحاسوبية؛ لأنها تستحوذ علىٰ أكثر أوقات الطفل، وتؤثر علىٰ صحته من كثرة جلوسه أمام الشاشة، وانحناء قامته في هذه السن الصغيرة، كما أنها تقلل من الحركة التي هي مطلب مهم في هذه المرحلة، واشتمال بعضها علىٰ مخالفات شرعية في العقيدة أو في السلوك والأخلاقيات.

بعض الألعاب قد لا يتمكن الطفل من مزاولتها في المنزل نظراً لحاجتها إلىٰ مكان متسع، وليس كل الناس لديهم فناء واسع في بيوتهم، فلذلك يحتاج الأطفال لمزاولة ذلك للخروج من المنزل، والمطلوب في هذا النوع من اللعب أن يكون تحت إشراف المربي؛ لأننا لا ندري ماذا يمكن أن يحدث عند غيابه، وفيما قص القرآن من قصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته عبرة، فقد قالوا: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**...﴾ الآية [**يوسف**: ١٢] وكان هنالك أمر مبيت في النفس.

ومما ينبغي الإشارة إليه - هنا - أن بعض الأطفال قد تلتبس عليهم مخارج بعض الحروف، فيخرج حرفاً من مخرج حرف آخر، أو يحدث عندهم ما يعرف بالقلب المكاني بأن يبدل بين أماكن الحروف في الكلمات التي ينطقها، فيخرج كلامه بطريقة فيها لطافة ودعابة، وحينئذ فقد يعمد كثير من المربين إلىٰ تكرار هذه الألفاظ أمام الطفل من قبيل اللعب والمزاح معه، وهذا لا شك سلوك خاطئ وخاصة عند الإكثار منه، إذ إنه قد يضخم المشكلة بمرور الأيام، والرغبة في الضحك مع الطفل ومداعبته لا تسوغ هذا السلوك، والذي ينبغي عمله في هذه الحالة أن يحرص المربي علىٰ تكرار اللفظ أمام الطفل بالطريقة الصحيحة، ويعوده

عليه حتىٰ يعتدل كلامه .

وهذه الحالات لا تعد مشكلة إذا كانت تحدث من الطفل في ألفاظ قليلة ، وقبل أن يتجاوز الطفل سن الرابعة أو الخامسة ، أما إذا كانت في كلمات كثيرة وقد تجاوز الطفل تلك السن ، فقد يكون ذلك مؤشراً علىٰ وجود مشكلة لدىٰ الطفل ، وينبغي في هذه الحالة عرض الأمر علىٰ الطبيب المتخصص في علاج مشكلات النطق والتخاطب(١) .

■ **التربية بالتجربة :**

ربما يظن الكثيرون أن التجربة لا تكون إلا في المعمل ، ولا تستعمل إلا لإثبات الأمور العلمية العملية التي يمكن قياسها ، لكن مع ذلك فإنه يمكن الاستفادة من هذه التقنية في التربية ، في الأمور المعنوية ، وعندنا في ذلك قصة مشهورة من القديم استفاد فيها صاحبها من عملية التجربة كي يبث ويُثَبِّت في نفس أولاده أن الاتحاد قوة ، فعندما يأتي المربي بمجموعة من العيدان ويعطي كل واحد عوداً عوداً ، ويطلب منهم كسر تلك الأعواد ، فسوف يكون من اليسير القيام بذلك ، وبعدما يقوم الأطفال بكسر تلك العيدان ، يأتي بمجوعة أخرىٰ من العيدان مماثلة للتي كسرت ، ثم يجمعها إلىٰ بعض ، ويطلب كسر هذه المجموعة مجتمعة ، وعندما يعجز الأطفال عن القيام بذلك ، فإن المربي يمكنه أن يجعل الأطفال من خلال ذلك يستنبطون العلة أو السبب ، وهو في ذلك يكون قد قام بأمرين ، الأول : غرس القيمة التي توخاها من ذلك ، وهي أن الاتحاد قوة ، وأن الضعيف قد يقوىٰ باجتماعه مع إخوانه ، والثاني : تعويدهم الاستنباط مما يحدث أمامهم ، والمربي يمكنه تصميم مواقف مثل هذه لترسيخ القيم التربوية التي يريد ، لكن ينبغي في هذه المواقف الابتعاد عن استعمال المواد الخطرة ؛

(١) انظر : علم نفس المراحل العمرية ، لـ : أ . د/ عمر بن عبد الرحمن المفدىٰ ص٢٨٥ـ٢٨٩ .

لأن الطفل قد يحاول تكرار التجربة في غيبة مربيه، فيحدث من جراء ذلك خطر شديد.

■ **التربية عن طريق العادة :**

اعتياد فعل الشيء أو قوله عن طريق التكرار، يحوله إلىٰ ما يقرب من الصفات الشخصية للإنسان، حتىٰ لا يجد الإنسان بعد اعتياد الشيء صعوبة في فعله ولو كان صعباً حقاً، وقد قال الشاعر :

تَعَوَّدْ صالِحَ الأَخْلاقِ، إِنِي　　　رأَيتُ الـمَرْءَ يَأْلَفُ ما اسْتَعادا

لذلك كان تحويل السلوك المطلوب إلىٰ عادة من الوسائل المهمة في التربية، وهذا يحتاج إلىٰ إصرار من المربي علىٰ تحويل السلوك المرغوب فيه إلىٰ عادة، فيكرره كثيراً ويتابع ذلك متابعة شديدة، ثم بعد فترة يصير ذلك عادة لدىٰ الطفل يفعله عند حدوث دواعيه، من غير أن يُطلب ذلك منه، فالمسلم الذي تعود ـ مثلاً ـ علىٰ قول «الحمد لله» بعد العطس، لو جاءه العطاس وهو مستغرق التفكير في أمر سيطر عليه، فإنه يقول بعد العطس : الحمد لله، وإن كان غير منتبه؛ لأنه صار عادة له، وهكذا، ولذلك جاء في الحديث : «الخير عادة والشر لجاجة، من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(١)، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ : (حافظوا علىٰ أولادكم في الصلاة، وعلموهم الخير، فإنما الخير عادة)(٢)، وقال معاوية ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ : (عوّدوا أنفسكم الخير)(٣)، ولهذا كانت فتاوىٰ الرسول ﷺ تحث علىٰ تعويد الصبية علىٰ الخير، فقد «رفعت إليه امرأة صبياً فقالت : ألهذا حج؟ قال : نعم ولك أجر»(٤)، فالصبي صغير

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه : ٢/ ٨.
(٢) أخرجه البيهقي في السنن : ٣/ ٨٤.
(٣) مسند الشاميين : ٣/ ٢٥٠.
(٤) أخرجه مسلم : كتاب الحج، رقم ٢٣٧٨.

وقد لا يدرك شيئاً من مناسك الحج، لكن الرسول ﷺ حرص على تعويده لذلك الفعل، وحرض أمه عليه بأن جعل لها أجراً على القيام به، وعندما كانت النساء تذهب إلى مسجد الرسول ﷺ للصلاة، وكان بعض الصبية يبكون، ومع ذلك لم ينه الرسول ﷺ عن إحضارهم إلى المسجد، بل كان يراعيهم ويخفف الصلاة من أجلهم، وذلك حتى يعتادوا ـ فيما نرى ـ المجيء إلى المسجد(١).

■ **التربية بالقدوة:**

تأثير المواقف العملية على نفس المتلقي أبلغ بكثير من الحديث والخطب والعظات؛ لأنها تكتسب برهان صدقها من حدوثها وتحققها، لذلك كان تفاعل المربي مع القيم التربوية التي يدعو إليها والتزامه بها، أجدى من كثير من الكلام عن أهميتها والدعوة إليها، من غير أن يصاحب ذلك عمل في واقع الأمر، فالتزام المربي أمام الطفل بالصدق في كل تصرفاته فيما يعود عليه بالمنفعة أو ما يعود عليه بالضرر، أجدى على الطفل من حديث المربي المكرر عن أهمية الصدق وقيمته وهو لا يلتزم به، أو لا يظهر منه التزامه به.

وقد نبّه الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ على أهمية القدوة عندما أقبل على أبي عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد وقال له: (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ماتستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه...) إلى آخر وصيته(٢).

وقال ابن الجوزي في بيان أهمية أن يكون المربي عاملاً بما يقول: (لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته

(١) وأما الحديث الذي يذكره بعض الناس: «جنبوا مساجدكم صبيانكم..» الحديث، فقد اتفقت كلمة المحدثين على ضعفه.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/ ٢٥٥، وقد ورد مثل هذه الوصية من كلام عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده، وهو أسبق من الشافعي، فلعل الشافعي اقتبسها منه.

العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه، ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ، ولقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقاق بكى واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل، ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً، وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم و الصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول)[١].

فعندما يلتزم المربي في كل أحواله بأن تكون أعماله مصدقة لأقواله كان هذا أنفع للمتربي، حتى لو كان هذا فيما يتعلق بأمور الدنيا، ففي عصرنا الحاضر عندما يلتزم المربي الوقوفَ عندما تضيء إشارة المرور اللون الأحمر مثلاً، فإن ذلك له تأثيره على الطفل أكثر بمرات كثيرة من سماعه عن أهمية الالتزام بإشارات المرور، بينما هو يرى مربيه في الوقت نفسه لا يلتزم بها، وعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك - ولا شك - سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به، وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها، بل على المربي أن يدفع الطفل إلى ذلك دفعاً كأن يخرج من جيبه ما يريد دفعه للفقير، ثم يقول للطفل اذهب وأعطه هذا الفقير، فهو في هذا يحقق أكثر من هدف تربوي، فقوله: (الفقير) يبين للطفل السبب في الدفع لذلك الإنسان، وهو مساعدة المسكين والفقير،

(١) صيد الخاطر: ١/ ١٤٧.

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٤١.

ويعوده على سخاء النفس ببذل مالها للغير المحتاج، قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (ويعوده البذل والإعطاء، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئاً أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء)(٢)، كما يعلمه هذا السلوك الشجاعة والتعامل مع الآخرين، ولعل في مسلك عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ ما يشهد لذلك، فقد (جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: أعطه ديناراً)(١) وقد يحدث أن الطفل نفسه بعدما رأى من صنيع والده ما رأى، أن يأتي إليه فيطلب منه ما يعطيه للفقير، ولا ينبغي للمربي في هذه الحالة أن يمنع ذلك، حتى لو كان المربي لا يرى أحقية ذلك الفقير؛ لأننا ـ الآن ـ في مرحلة بناء هذا الخلق عند الطفل، وليس الحكم على هذا السائل أنه يستحق أو لا يستحق، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي نريد له أن يتخلق بها، على أنها سلوك عملي وليست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه.

■ **التربية بالمسابقة والسؤال:**

ومن الأساليب الناجحة التي يمكن استخدامها في ذلك أسلوب السؤال، أو المسابقة بين الأطفال فيمن يقدر على الجواب، ويكون جواب السؤال يخدم قضية عقدية، أو سلوكية، أو عقلية، لكن لا بد أن تُراعى في هذه الأسئلة والمسابقات المرحلة السنية التي يتعامل معها المربي، فتكون أسئلته في مستواهم ولا تفوق عقولهم أو محفوظاتهم، فإن الأسئلة التي تفوق مستواهم لا فائدة منها، وستوقع الطفل في الإخفاق أو الإحساس به مما يؤثر على نفسه وسلوكه، وتتكون لديه اتجاهات سلبية إزاء ذلك، بينما الأسئلة التي تناسب سنّه ومستواه فائدتها كثيرة، إذ تشعره عند القدرة على الجواب عليها بلذّة النجاح، والقدرة على الفهم والتعلم، واكتساب الخبرات، مما يولد لديه نشاطاً متزايداً لتحقيق نجاحات أخرى.

ومن حكمة المربي في ذلك أن يلقي السؤال عقب حدث معين، فيكون في

---

(١) التمهيد: ٤/٢٥٦.

ذلك إشارة للطفل الفطن أن الجواب في ذلك الحدث، وانظر إلىٰ هذا المسلك النبوي، يقول عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ: «كنا عند النبي ﷺ فأتي بجُمَّار [والجمار: شحم النخل، وهو الذي يأكل من قلب النخل، ويكون ليناً]، فقال: إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم، فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي ﷺ: هي النخلة»[1]، قال ابن حجر: (لما ذكر النبي ﷺ المسألة عند إحضار الجُمَّار إليه، فهم أن المسؤول عنه النخلة، فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل)[2].

فإذا كانت المسابقة فوق مستوىٰ المتربين، أو لم يكن هناك ما يشير للطفل الفطن إلىٰ الجواب، فإن ذلك يؤدي إلىٰ عكس المطلوب، حيث ينصرف عنه الأولاد، أو يصيبهم نوع من الإحباط لعدم قدرتهم علىٰ التفاعل مع الأسئلة.

قد يضيق وقت المربي ـ أحياناً ـ عن مثل هذه المسابقات، فبإمكانه أن يعرضها أثناء انتظار الطعام، أو في السيارة، أو أي وقت يمكن استغلاله، ولا بد أن يقتطع المربي جزءاً من وقته لهذه المهمة، ولا يتركها للظروف، فإنه ليس بكثير علىٰ هذه المهمة أن تبذل فيها الأوقات الثمينة الغالية.

وينبغي في كل ما تقدم من الأساليب الاستفادة مما وفرته التقنية الحديثة مما يخدم قضايا التربية، فجهاز المسجل يساعد في عملية تحفيظ القرآن، وإجادة نطقه، وخاصة بعض الأجهزة التي تمكن الطفل أن يسجل قراءته بعد سماع قراءة الشيخ، ثم يستمع لقراءته، حتىٰ يدرك الفرق بين القراءتين.

كما أن جهاز «الفيديو» بما يعرض فيه من بعض البرامج التربوية ينمي في الطفل بعض السلوكيات الحسنة التي ابتغاها مصمم «الشريط»، وكذلك البرامج الحاسوبية التي تقوم بالدور نفسه، وهذه البرامج تساهم ـ أيضاً ـ في تعليم اللغة الفصحىٰ للطفل إذا كانت أُعدّت بها، فإن الطفل يميل إلىٰ تقليد الشخصيات التي

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، رقم ٧٠، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم ٥٠٢٨.
(٢) فتح الباري: ١/ ١٦٥.

يراها سواء في الكلمات نفسها أو في طريقة نطقها .

وقد أثبتت التجربة أن الأطفال الذين يستمعون إلىٰ تلك البرامج تكون لغتهم العربية أفضل من نظرائهم الذين لم يمروا بالتجربة نفسها، لكن هذه الوسيلة تحتاج إلىٰ الاختيار الحسن من قِبَل المربي، ولا يترك الأمر إلىٰ ما يعرض في السوق أو لرغبات الأطفال؛ لأن الغرض منها هو التربية، وليس قطع الأوقات أو الاستجابة لرغبات الأطفال .

ومن المهم ـ جداً ـ أن تتبنىٰ بعض المؤسسات التربوية إنتاج هذه «الشرائط» أو «البرامج» ولا تتركها للجهود الفردية التي يكون الربح فيها هو المقصود الأول .

المبحث الرابع
الثواب والعقاب

الترغيب والترهيب باب يُعتمَد عليه في حضِّ المسلم وحمله على ما ينبغي شرعاً من واجب أو مستحب، أو نهيه ودفعه عما لا ينبغي شرعاً من حرام أو مكروه، والثواب والعقاب وسيلة من وسائل الترغيب والترهيب، وهو - أيضاً - أسلوب من أساليب التربية؛ لأنه يترتب على الثواب والعقاب تربية للمقصودين به، وقد أفردته بالحديث - هنا - للعناية به وإبرازه.

الثواب:

لا شك أن الطفل الصغير في حاجة إلى الثواب لحضِّه على فعل أو قول ما يراد منه، وذلك لضعف إرادته أمام المغريات، ولضعف قوته عن الاحتمال، لذلك هو في حاجة إلى ما يحمله على التماسك والتجلد والإقدام.

وتتعدد كيفيات الإثابة ما بين ثواب معنوي وآخر مادي وكلاهما مطلوب، ولا يغني أحدهما عن الآخر خاصة في هذه المرحلة.

وينبغي على المربي إذا وعد بثواب أو جائزة أن يُوفِي بما وعد من الثواب، فإن إخلاف الوعد فيه ضرر كبير على الطفل، من جهة أنه لا يثق في وعد المربي، ومن جهة التأثير السيئ في الاقتداء به، ومما يعين المربي على الوفاء أن لا يعد بما لا يمكن تحقيقه في الواقع، أو يصعب تحقيقه، كما لا يعد بأمر كبير لا يتناسب مع المطلوب، كالوعد بمبلغ مالي ضخم، أو القيام برحلة بالطائرة - مثلاً -، مما يجعله يتقاعس عن الوفاء.

وقد يحدث أن يترخص بعض المربين في الكذب على الأطفال في هذه المرحلة، من حيث وعدهم بشيء لحملهم على فعل شيء أو تركه، لكن هذا خطأ على المربي لأنها تكتب عليه كذبة، وخطأ على المتربي لأنها تفقده الثقة في وعد

مــربيــه، وقـد أرشـد إلـىٰ ذلك رسـول الـله ﷺ فـقـد قـال عــبــد الـله بـن عـامـر: «دعتني أمي يوماً ورسـول الله ﷺ قـاعـد في بيـتنا، فـقـالت: ها تـعـال أعطيك، فقال لها رسـول الله ﷺ: ومـا أردت أن تعطيه؟ قـالـت: أعطـيه تمراً، فقـال لـها رسـول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كـتبت عليك كـذبة»(١)، وقال ـ أيضاً ـ: «من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة»(٢).

وبعض المربين يحـاول الخـروج من ورطة الـكذب أو إخـلاف الوعـد، في الوقت الذي يريد استـخدامـه لحضِّ الطفل علىٰ الفعل أو الترك، فيقول في آخر كلامـه: إن شاء الله، علىٰ أسـاس أنه لو لم يفعل لم يكن كـاذباً أو مخلفاً للوعد، لكن هـذا ـ أيضـاً ـ لـه أثر سـيِّئ عـلىٰ الطفـل، حـيث ترتـبط في ذهنه هذه الكلـمـة الجميلة بعدم تحقق المطلوب، حتىٰ إنه بعد فترة إذا وعدته وقلت له: إن شاء الله، قال: بدون «إن شاء الله».

فلا ينبغي للمربي أن لا يقول هذه الكلمة إلا وفي نيته الفعل، فإن لم يتمكن من الفعل فـلا حرج عليه ولا يكون مخلفاً للوعد، فهـو يقولهـا تحقيقاً لا تعليقاً، وعلىٰ هـذا النحـو لا ترتبط هـذه الـكلمة في ذهــن الطفل بشيء غير مـحبـوب، بـل سيعلم أن كلـمة «إن شـاء الله» لا بد من قولها لما يستقبل من الأمور؛ لأن الله ـ تعالىٰ ـ هو المتصرف في كل شيء، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته.

وفي هـذه المرحلة العـمرية، فإن المكافـأة المـادية أولىٰ عند الطفل فـي كثير من الأحيـان من المكافـأة المعنوية، وإن كـان هذا لا ينفـي العناية بالمكافـأة المعـنوية، لكن الأولىٰ تغليب الثـواب العـيني أو المادي علىٰ الثـواب المعنوي؛ لأن الـطفل يتـفـاعل معها أكثر، ولا ينبغي المبالغة في الثواب حتىٰ يتحول إلىٰ شرط للعمل والاستجابة.

العقـاب:

---

(١) أخـرجــه أبو داود: كـتــاب الأدب، رقــم ٤٣٣٩، وأحــمـد: رقم ١٥١٤٧، وقــال الـشــيخ الأرنـؤوط: حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد: رقم ٩٤٦٠، وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

لا يخلو الإنسان صغُر أم كبُر من الوقوع فيما لا ينبغي الوقوع فيه، وكما لا يحسن التجاوز عن الأخطاء جميعها والتساهل في أمرها، بحجة صدورها عن طفل غير مكلف شرعاً، فكذلك لا يحسن معاقبته عن كل خطأ يصدر منه، أو التعامل مع الأخطاء كلها بمقياس واحد، أو النظر إليها بمنظار واحد، رغم التباين والاختلاف بين الأخطاء، ولا ينبغي أن تتجه همّة المربي أول شيء في العقاب - إذا قرر معاقبة الطفل - إلىٰ العقاب البدني علىٰ أنه العقاب المفضل، بل هو كما قالوا: آخر الدواء الكي، والعقاب البدني في هذه السن الصغيرة غير مرغوب فيه، وله أضرار كثيرة، كما أشار إلىٰ ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: (الشدة علىٰ المتعلمين مضرة بهم، وذلك أن إرهاف الحد[1] في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد؛ لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيق علىٰ النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلىٰ الكسل، وحمله علىٰ الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالاً علىٰ غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدىٰ إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين، وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر، ونال منها العسف، واعتبره في كل من يُملك أمره عليه. . . فينبغي للمعلم في متعلمه، والوالد في ولده، أن لا يستبد عليهم في التأديب)[2]، وينبغي للمربي أن يتدرج في عقوبة الطفل فتكون لديه عقوبات متعددة، ليست علىٰ منوال واحد في الشدة، فيستخدم منها في كل موقف ما يناسبه.

إن الاعتماد علىٰ العقاب البدني كنوع وحيد للعقوبة، يدل علىٰ ضعف

(١) إرهاف الحد: أرهف السكين: سنّها ورقّقها وأخرج حدّها، والمراد بإرهاف الحدّ: شدة المبالغة في العقاب. انظر: لسان العرب، مادة (رهف).

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ٥٠٨، ط دار الشعب.

معرفة المربي بألوان كثيرة من العقاب غير العقاب البدني، أو عدم اقتناعه بجدواها، وعلىٰ ذلك فهو بحاجة إلىٰ المعرفة والإحاطة بكثير من طرائق العقاب، التي لا تعتمد الإيلام البدني طريقاً في العقوبة.

فقد يكون من الأخطاء ما يحسن التغافل عنه، وكأن المربي لم ينتبه له، ومنها ما يحتاج إلىٰ مجرد نظرة بالعين، أو إظهار نوع من عدم الرضا أو القبول، والبعض يكفي فيه الكلمة المهذبة أو الإشارة اللطيفة، كما أن البعض الآخر قد يحتاج إلىٰ حرمان من بعض المحبوبات لدىٰ الطفل.

ومن العقوبات التي يمكن استخدامها في هذه المرحلة وهي مؤثرة علىٰ الطفل: عدم البشاشة في الوجه أو الضحك معه، والإعراض عنه والإقبال علىٰ غيره من إخوانه، أو ترك تكليمه وترك القص عليه، ويفضل في هذه المرحلة الابتعاد عن العقوبة البدنية، وعند الاحتياج لها فلا ينبغي أن تتجاوز إظهار أداة العقوبة كالعصا والسوط والتهديد بها، ثم فرك الأذن، وأما العقوبة البدنية التي تزيد عن ذلك فينبغي تأخيرها إلىٰ المرحلة التالية، والمربي هو من يفاضل بين هذه الأشياء، ويختار المناسب من كل ذلك للخطأ الحادث.

ولا ينبغي للمربي أن يهمل محاسبة الطفل علىٰ الخطأ بزعم التغافل، إذا كان يعمل ما يعمل تحت سمع وبصر المربي، والطفل مدرك لذلك، فإن هذا المسلك سيعطي الطفل نتيجة خطيرة أن هذا السلوك الذي يفعله ليس فيه ما يعاب، أو ليس فيه ما يستحق المعاقبة، ولا ينبغي للمربي أن يضعف أو يتقاعس عن العقاب عند حدوث الخطأ، بدعوىٰ الشفقة أو صغر السن، أو عدم الإدراك؛ لأن الغرض من العقاب ليس القصاص، وإنما هو توجيه نوع من المؤاخذة للطفل لدلالته علىٰ سوء فعله أو قوله، حتىٰ لو كانت بالكلام من غير عقاب بدني، وهذا رسولنا ﷺ عندما وضع الحسن بن علي ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ (أمه فاطمة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ بنت رسول الله ﷺ) وهو طفل صغير تمرة من تمر الصدقة في فيه، قال له الرسول ﷺ: «كخ كخ، ليطرحها، أما شعرت أنا لا نأكل

الصدقة»[١]، وفي بعض الروايات أنه أخرجها من فيه، مع أنه طفل صغير لا يتوجه عليه خطاب لا بالأمر ولا بالنهي، قال ابن حجر في شرحه: (وهي «كخ» كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يستقذر، وعند أحمد: فنظر إليه فإذا هو يلوك تمرة، فحرك خده، وقال: ألقها يا بني، ألقها يا بني، وفي الحديث. . . جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات، وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك . . . وفيه الإعلام بسبب النهي ومخاطبة من لا يميز لقصد إسماع من يميز؛ لأن الحسن إذ ذاك كان طفلاً، وأما قوله: أما شعرت، وفي رواية البخاري في الجهاد: أما تعرف، ولمسلم: أما علمت، فهو شيء يقال عند الأمر الواضح، وإن لم يكن المخاطب بذلك عالماً، أي كيف خفي عليك هذا مع ظهوره؟ وهو أبلغ في الزجر من قوله: لا تفعل)[٢]، وفي هذا ـ أيضاً ـ دليل على أن الرسول ﷺ لم يهمل القدرات العقلية للحسن بل كلمه وخاطبه خطاب الكبير فقال: «أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة»، وهذا الأسلوب مما يشعر الطفل بمكانته ويقوي ثقته في نفسه، كما ناداه بقوله: يا بني، لبيان دافع النهي وهو الشفقة والرحمة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٦، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم ١٧٧٨، وفيه قوله ﷺ للحسن: «ارم بها».
(٢) فتح الباري: ٣/ ٣٥٥.

المبحث الخامس
التوجيهات والنصائح

هناك الكثير من التوجيهات والنصائح التي يمكن تقديمها في مجال تربية الطفل، فمن ذلك :

■ **توضيح معاني التوحيد الكبرى:**

ينبغي للمربي أن يحرص على تأكيد معاني التوحيد الكبرى عند الطفل منذ صغره، ولا يترك هذه الأمور إلى حين بلوغ الطفل أو كبره، فلا بد أن يعيد على مسامعه وبأساليب كثيرة أن الله ـ تعالى ـ خلقنا، وهو الذي يرزقنا، وأنه لا شريك له، وأن الله ـ تعالى ـ عظيم الشأن، فهو سبحانه لا يحتاج إلى أحد، والخلق كلهم في حاجة إليه، وأن الله ـ تعالى ـ حكم عدل وأنه لا يظلم الناس شيئاً، ونؤكد عليه صفات الله ـ تعالى ـ الحسنى من العظمة والعلو والقدرة والقوة والسمع والبصر، وغير ذلك، ولا نحتاج في ذلك إلى أكثر من أن نعيد على مسامعه كلام الله ـ تعالى ـ الذي يحوي تلك الصفات أو المعاني، ولا نتدخل في ذلك بشرحٍ؛ لأن هذه من الأمور التي فطر عليها الإنسان، فهو لا يحتاج إلى أكثر من التذكير، فضلاً عن أن الشرح قد يوقع صاحبه في أخطاء من غير أن ينتبه لها.

ولأهمية ذلك فقد ورد في السنة أن الطفل يعاد على مسامعه كلمات التوحيد عند مولده وإن كان لا يعقل معناها، فـ «عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ أَذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة»[(١)]، وألفاظ الأذان كلها توحيد، ودعوة إلى الفلاح، وورد: «أن عمر ابن عبد العزيز كان إذا ولد له ولد أخذه كما هو في خرقته، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وسماه مكانه»[(٢)].

وهذا الحرص على إسماع الطفل الرضيع كلمات التوحيد ودعوة الفلاح،

---

(١) سنن أبي داود: ٤/ ٣٢٨.

(٢) مصنف عبد الرزاق: ٤/ ٣٣٦.

حتىٰ وإن كان لا يعقل معناها، يدل بوضوح علىٰ الخطأ الكبير الذي يقع فيه بعض المسلمين في محاولة إلحاق أطفالهم ببعض المدارس الأجنبية خاصة في السن الصغيرة، بحجة تميز المستوىٰ التعليمي لتلك المدارس، أو الرغبة في تعليم الطفل لغة أجنبية.

وتعريض الأولاد لفتنة التوجيه والتربية في جو مخالف لما يدعو إليه ديننا، لا يسوغه مثل هذه الأمور ولا ما هو أرفع منها شأناً، والفتنة تعظم أكثر وأكثر إذا كانت تلك المدارس داخلية، حيث يقيم فيها الطفل فترات طويلة ينقطع فيها عن توجيه والديه ويسلم قياده لهؤلاء المربين.

■ **التعويد على الشجاعة:**

الشجاعة خلق عظيم، وبالشجاعة تحققت كثير من الأمور الصعاب، لذا ينبغي تدريب الأطفال علىٰ ذلك، وتعويدهم عليه، وقد يكون من ذلك أن يسمح الأب لأولاده بالمصارعة فيما بينهم علىٰ سبيل اللعب لتعويدهم علىٰ ذلك، مع مراقبتهم حتىٰ لا يخرج الأمر عن الهدف المبتغىٰ من وراء ذلك، فعن محمد بن علي بن الحسين قال: «اصطرع الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول: هي حسن، فقالت له فاطمة: يا رسول الله تعين الحسن؟ كأنه أحب إليك من الحسين، قال: إن جبريل يعين الحسين، وأنا أحب أن أعين الحسن»(١)، وقد كان من أثر تلك الشجاعة ما تحدث به الحسين وهو صبي صغير مع أمير المؤمنين عمربن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ وهو يومئذ الخليفة: قال الحسين بن علي: «أتيت عمر وهو يخطب علىٰ المنبر فصعدت إليه، فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلىٰ منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه أقلب حصىٰ بيدي، فلما نزل انطلق بي إلىٰ منزله، فقال لي: من علمك؟ قلت له: والله ما علمني أحد، قال: بأبي لو جعلت تغشانا، قال: فأتيته يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر فرجعت

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده، زوائد الهيثمي: ٢/ ٩١٠، ونسبه الحافظ في الإصابة (٢ / ٧٧) لأبي يعلىٰ من رواية أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه.

معه، فلقيني بعد، فقال لي: لم أرك، قلت: يا أمير المؤمنين إني جئت وأنت خال بمعاوية فرجعت مع ابن عمر، فقال: أنت أحق بالإذن من ابن عمر، فإنما أنبت ما ترىٰ في رؤوسنا الله، ثم أنتم»[(١)].

ولا ينبغي أن يحمل حب المربي للتحكم في تصرفات الطفل وضبط سلوكه، علىٰ تخويفه بأمور قد تقتل أو تضعف في نفسه مبكراً هذا الخلق، فلا يقوىٰ بعدها علىٰ مواجهة المواقف، أو تخويفه بأمور صحيحة لا يأتي منها خوف في الحقيقة فيتكون لديه خبرات سلبية إزاءها.

فلا ينبغي أن يخوف الطفل بالمعلم أو الطبيب أو رجل الشرطة أو نحو ذلك، فإن هذا ربما حمله علىٰ كراهية هؤلاء والنفور منهم ومن أعمالهم، كما لا يخوف ـ مثلاً ـ بالغول أو الجن أو اللصوص، حتىٰ يؤثر ذلك فيه فلا يقوىٰ علىٰ ارتياد مكان مجهول، أو بالظلام فلا يقوىٰ علىٰ العبور في مكان مظلم، أو نحو ذلك، وهذا لا يعني عدم التنبيه علىٰ ما يمكن أن يكون فيه خطورة حقيقية علىٰ الطفل، أو منعه منه إذا ما توافرت أسبابه، إنما الممتنع من ذلك المبالغة التي قد تفضي إلىٰ الكذب، أو الكذب الصريح في التخويف بشيء لا وجود له في الحقيقة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم»[(٢)]، فقوله ﷺ: «إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل»، أي: إقباله بعد غروب الشمس، وقوله: «كفوا صبيانكم»، أي: امنعوهم من الخروج في هذه الساعة، قال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: إنما خيف علىٰ الصبيان في تلك الساعة؛ لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم ـ غالباً ـ، والذِّكر الذي يحرز منهم مفقود من الصبيان غالباً، والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٧٨، وقال: سنده صحيح وهو عند الخطيب.
(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب بدء الخلق، رقم ٣٠٣٨، ومسلم: كتاب الأشربة، رقم ٣٧٥٦.

فلذلك خيف علىٰ الصبيان في ذلك الوقت»[(١)].

■ **بثُّ الثقة في النفس:**

يحتاج الطفل أن يشعر بقدرته علىٰ الفعل، والقدرة علىٰ الاختيار، وهذا من الأمور الجيدة عند الطفل فلا ينبغي للمربي أن يشعر بقلق تجاه هذا الأمر، بل لو كلفه ببعض الأمور التي تكون في وسعه وطاقته، وعهد إليه بها كان في هذا تكوّن صورة إيجابية عن نفسه وعن نظرة المربي إليه، لكن الطفل يحاول في أحيان كثيرة أن يجرب بنفسه، حتىٰ يعيد من ذلك ما فعله المربي إلىٰ سيرته الأولىٰ، لكي يفعله هو بنفسه، كما أنه يعبث بأشياء قد تكون فيها خطورة، فما دام هو تحت المتابعة والمراقبة، وكانت الخطورة من النوع الذي يمكن التنبه له، أو تلافي آثاره من غير حدوث مشاكل، فدعه يجرب؛ لأن هذا يعطيه الثقة في نفسه، وفي قدرته علىٰ القيام بأشياء من هذا النوع، كما أن النتيجة التي يتوصل إليها من خلال تجربته تكون أفضل بالنسبة له من كثير من الكلام والإرشاد الذي يقوله له المربي.

فمثلاً قد يمسك الطفل بعود ثقاب ويحاول إشعاله، ومهما حاولت منعه فستكون لديه الرغبة لعمل ذلك، فلو أنك تركته وقام بما أراد تحت ملاحظتك، فإن نجح في ذلك فسوف يعطيه ذلك الثقة في نفسه، ويضيف إلىٰ رصيد خبرته شيئاً جديداً، وإن أخفق أو أحرقه العود عند محاولة إشعاله فستكون لديه خبرة جديدة من جراء ذلك، مما يدفعه للنجاح في المرة القادمة، أو يكون هذا رادعاً له من محاولة التجربة مرة أخرىٰ في غيبة مربيه، والفرق بين هذه والتي قبلها أنك مطالب ألا تفعل أنت - أيها المربي - الأمور الخطرة أمامه حتىٰ لا يقلدك، أما في الثانية فهو يحاول أن يفعل ذلك بمبادرة منه، لذلك اختلف التوجيه لاختلاف الحالين، وأما الأشياء التي يترتب علىٰ الإخفاق فيها ضرر علىٰ الطفل لا يمكن تداركه، فلا يسمح له بها.

---

(١) فتح الباري: ٦/ ٤٣١.

■ **اختيار الأوقات المناسبة للتربية، والتدرج فيها :**

يحتاج المربي إلى أن يعلم الطفل أشياء كثيرة، وأن يربيه على أخلاق عديدة، وآداب جميلة، لكن لا ينبغي أن يحمله ذلك على عدم مراعاة المناسبة بين التربية وبين التعليم، أو التدرج فيها شيئاً فشيئاً، فيكون كمن يؤدي مهمة ثقيلة على النفس يتمنى الخلاص من تبعتها دفعة واحدة، بل عليه أن يختار الوقت والظرف المناسب لذلك، وأن يمارس ذلك شيئاً فشيئاً.

فأنت تريد أن تعلمه آداب الطعام، من غسل الأيدي غير النظيفة، والتسمية عند الأكل، والأكل باليمين، والأكل مما يليه، والأكل من طرف الماعون وليس من وسطه، وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، ثم يحمد الله ـ تعالى ـ واهب النعم في نهاية الطعام، فالأنسب لذلك أن يكون هذا التعليم قبل بداية الأكل مباشرة، وعلى الطعام نفسه، ولا يلقي ذلك كله عليه دفعة واحدة، ويكرر ذلك معه في كل وجبة، ولا يمل ولا يسأم حتى يصير ذلك عادة عنده، ويمنع الطفل من الأكل حتى يلتزم بذلك، فإن الشيطان يأتي من يأكل من غير تسمية، حتى يتمكن هو من الأكل من الطعام(١).

وكذلك آداب النوم، فعند الرغبة في النوم أو قريب منه يبدأ في تعليم أطفاله أدباً واحداً حتى يتقنوه من كثرة تعودهم عليه، وبعد أن يعلمهم ذلك الأدب يبدأ في تعليم أدب آخر، وهكذا حتى يعلمهم ما يعرف من الآداب التي تلزمهم، ولا يعلمهم ذلك ـ أيضاً ـ كله دفعة واحدة، فإنهم لن يحفظوه ولن يستوعبوه، إضافة إلى أن المراد في التربية هو العمل وليس العلم بدون عمل، ولو دخلوا فيه

---

(١) وقد دل على ذلك حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، رقم ٣٧٦١، وأبو داود: كتاب الأطعمة، رقم ٣٢٧٤، وغيرهما.

مرة واحدة أوشكَ أن يتركوه مرة واحدة أيضاً، وينبغي أن يتخير من الأدعية الصحيحة الأدعية القصيرة التي يسهل حفظها.

■ **المداعبة والترويح:**

من الأمور المهمة أن يشعر الطفل بالجو الأسري المشحون بعاطفة الحب والمودة، والتي تدل عليها السلوكيات والأعمال لا مجرد الأقوال، فمداعبة المربي للطفل وإدخال جو السرور عليه أمر مطلوب، وقد يكون من ذلك سؤاله عن أحواله وعن ألعابه، ومن ذلك مخاطبته وكأنك تحدث شخصاً كبيراً، كأن تقول له ـ مثلاً ـ: يا أبا فلان كيف حالك؟ أو نحو ذلك، أو يا أم فلان، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: «إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتىٰ يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر؟»(١)، وأبو عمير كان في ذلك الوقت فطيماً أي: انتهىٰ من رضاعه، فكان الرسول ﷺ يمازحه ويضاحكه، كما جاء في الروايات الأخرىٰ ويسأله عن النغير، قال ابن حجر: «وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح، وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة»(٢).

وعن أم خالد بنت خالد «أُتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: من ترون أن نكسو هذه؟ فسكت القوم، فقال: ائتوني بأم خالد، فأُتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: أبلي وأخلقي، وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد هذا سناه، وسناه بالحبشية حسن»(٣)، فخاطبها بأم خالد وهي ما زالت طفلة صغيرة، وخاطبها بلسان الحبشة لأنها كانت قادمة من الحبشة مع القادمين من المهاجرين.

وقد تبلغ الممازحة مع الطفل الصغير حداً أبعد من ذلك، فعن عبد الله

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، رقم ٥٦٦٤، والنغير: طير صغير، واحده نغرة.
(٢) فتح الباري: ١٠/ ٥٨٤.
(٣) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، رقم ٥٣٧٥.

بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدىٰ صلاتي العشي: الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنىٰ، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها، قال أبي (شداد): فرفعت رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام راكب علىٰ ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أَفشيء أمرت به أو كان يوحىٰ إليك؟ قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتىٰ يقضي حاجته»(١)، وارتحلني: أي جَعلني كالراحلة فركب علىٰ ظَهْرِي، وقد كانت عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ يوم بناء الرسول ﷺ بها علىٰ أرجوحة لها تلعب ومعها صاحباتها(٢)، وعنها ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ قالت: «دخل علي ﷺ وأنا ألعب باللعب فرفع الستر وقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: لُعب يا رسول الله، قال: ما هذا الذي أرىٰ بينهن؟ قلت: فرس يا رسول الله، قال: فرس من رقاع له جناح، قالت: فقلت: ألم يكن لسليمان بن داود خيل لها أجنحة؟ فضحك رسول الله ﷺ»(٣)، لذلك تقول السيدة عائشة بعدما رأت هذا ونحوه من رسول الله ﷺ: «رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلىٰ الحبشة يلعبون في المسجد، حتىٰ أكون أنا الذي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علىٰ اللهو»(٤).

فعلىٰ المربي أن تكون له مع الطفل مثل هذه الملاعبات والمداعبات، وسواء في ذلك البنين والبنات، وتترك له الفرصة ليزاول بعض الألعاب كي تنشط نفسه، ولا يصيبها الملل، ويتأكد هذا الأمر في أعياد المسلمين، مع الحرص علىٰ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣/ ١٨١، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، والنسائي: كتاب التطبيق، رقم ١١٢٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب المناقب، رقم ٣٦٠٥، ومسلم: كتاب النكاح، رقم ٢٥٤٧، وقد كان عمرها ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ إذ ذاك تسع سنوات.

(٣) أخرجه ابن حبان: ١٣/ ١٧٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم٤٨٣٥، ومسلم: كتاب صلاة العيدين، رقم ١٤٨١.

ألا تتضمن هذه الألعاب ما يتعارض مع الشرع، فعن مجاهد قال: «كل القمار من الميسر حتىٰ لعب الصبيان بالجوز»(١)، وأخرج ابن أبي شيبة عن حماد ابن نجيح قال: «رأيت ابن سيرين مرَّ علىٰ غلمان يوم العيد بالمربد وهم يتقامرون بالجوز، فقال: يا غلمان لا تقامروا فإن القمار من الميسر»(٢)، ورغم أن الصبيان والغلمان في هذه السن لا يجري عليهم القلم، لكن هذا لا يعني عدم نهيهم عن المخالفات، وذلك حتىٰ لا يتعودوها فيصعب عليهم تركها عندما يكبرون، قال ابن القيم: (والصبي وإن لم يكن مكلفاً، فوليّه مكلف، لا يحل له تمكينه من المحرم فإنه يعتاده ويعسر فطامه عنه، وهذا أصح قولي العلماء)(٣)، وينبغي أن تُراعىٰ ميول الطفل في الألعاب التي يختارها، فلا يجبر علىٰ لعبة لا يحبها أو يتفاعل معها، كما لا يمنع من لعبة يحبها إذا كان ذلك في الوقت المخصص للعب، ولم يكن فيها محذور شرعي.

■ **تلبية حاجات الطفل:**

للطفل رغبات متنوعة يحب تحصيلها، بعضها يعد من الحاجات المقبولة ككفايته من حيث المأكل والمشرب والملبس، وشعوره بالتقدير والعناية به، والعطف عليه، والجو الأسري المستقر ونحو ذلك فهذه ينبغي تلبيتها والحرص عليها، وبعضها غير مقبول كالمبالغة في تلك الأمور المتقدمة حتىٰ تخرج عن حد الاعتدال، وبعضها قد يكون تحصيله خلاف الأولىٰ أو من باب المكروهات، فلا ينبغي للمربي أن يتعامل مع هذه الحاجات معاملة واحدة، أو أن يسير فيها سيرة واحدة في القبول أو الرفض، بل لا بد أن ينزل كل واحدة منها المنزل المناسب لها.

وينبغي أن تكون استجابات المربي المختلفة لتلك الحاجات دليلاً للطفل علىٰ

---

(١) تفسير الطبري: ج ٢ ص ٣٥٧.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٥ / ٢٨٨.
(٣) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٤٣.

الصواب والخطأ من تلك الأمور، وما يحمد منها وما يعاب، ولا ينبغي الاستجابة لكل ما يطلب خاصة فيما كان فيه أخطاء شرعية، أو كان فيه مضرة على الطفل، أو كان مما يثقل كاهل الأب مادياً، وينبغي أن يدلّه على المسلك الصحيح في ذلك من غير نهر أو سب أو ضرب ونحو ذلك مما يفعله كثير من المربين خاصة عند إلحاح الطفل الشديد.

■ **العدل بين الأولاد:**

من الأمور المهمة في التربية عدم التفرقة بين الأطفال بسبب جنسهم، مثل: تفضيل الذكر على الأنثى في التعامل أو العطية، أو العناية بتنشئة الابن في مقابل إهمال البنت، فإن ذلك كله من الظلم، وقد قال الرسول ﷺ لمن أراد أن يشهده على عطية أعطاها لأحد أولاده: «أكل ولدك نحلت مثله؟ قال: لا، قال: فارجعه»(١)، وفي رواية: «ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور»(٢)، [والجور: الظلم]، وقد جاء النص صريحاً في الأمر بالعدل بين الأولاد والأبناء، فقال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أبنائكم»(٣)، [والولد يطلق على الذكر والأنثى].

ومما ينبغي الانتباه له العدل بين أفراد الجنس الواحد، وكذلك عدم العناية الزائدة ببعض الأولاد أكثر من غيرهم، أو ظهور المحبة الزائدة حتى إن كان لها ما يسوغها، ولعل في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وما فعله معه إخوته ما يبين ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا...**﴾ الآية [**يوسف**: ٨]، ثم اتهموا أباهم بقولهم: ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [**يوسف**: ٨]،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة، رقم ٢٣٩٧.
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الهبات، رقم ٣٠٥٦.
(٣) أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، رقم ٣٠٧٧، والنسائي: كتاب النحل، رقم ٣٦٢٧، وأحمد: رقم١٧٦٩٥، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

ثم اقترحوا الحل بقولهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]، فإن إظهار الحب والعناية ببعض الأولاد دون الآخرين يولد الضغائن وقد يحمل بعضهم على الكيد للولد المفضل حتى يتخلصوا منه، وقد تكون هناك مسوغات حقيقية لهذا التفضيل من قبل الأب لكن الأولاد - غالباً - لا يتفطنون لذلك، فالعدل المطلوب ليس قاصراً على الناحية المادية، وإنما يتجاوز ذلك إلى النواحي المعنوية كانبساط الوجه، وتوزيع النظرات والابتسامات، بل حتى ما يُكلَّف به من الأعمال، وسائر ما يحتاج إليه الأطفال من الأمور المادية والأمور المعنوية، والعدل مع الأطفال يؤصل هذا الخلق فيهم حتى يتعاملوا به فيما بينهم.

■ **حل المشكلات بين الأطفال:**

لا يخلو مكان أو بيت فيه أطفال من حدوث بعض المشكلات فيما بينهم، فقد يختلف أخوان مع بعضهما أو أكثر من ذلك، كما قد يختلف أخ مع أخته ونحو ذلك، هناك من المربين من يبادر من أول وهلة إلى التدخل السريع بالأمر والنهي، أو بالشدة والصياح لفضِّ الإشكال، إذ تسيطر عليه الرغبة بحل الإشكال سريعاً، وينصرف همه إلى تسكين الأصوات، وهذا إن كان له جانب حسن من وجه، لكنه لا يساعد على حل المشكلة من أصلها، ما ينذر أن تعود المشكلة جذعة مرة أخرى، في أي وقت يغيب فيه عن متابعتهم، فلا ينبغي للمربي أن يتدخل سريعاً لحل الإشكال من غير وقوف على أصل المشكلة، ومعرفة جذورها، ولو أنه تمهل قليلاً - إذا لم تكن هناك خطورة في الانتظار - وتابعهم من بعيد من غير تدخل، لينظر كيف يحلون مشاكلهم، وليعرف قدراتهم في هذا الباب، فيكون مثل هذا الأمر نافذة للمربي يطَّلع منها على الأخلاق والسلوك والقدرات، لكن إذا وصل الأمر إلى الاشتباك بالأيدي فهنا لا ينبغي الانتظار بل عليه التدخل.

لكن قد يحدث أن يأتي إليك أحد الطرفين، يستنصر بك ويستعديك على

الطرف الثاني، فلا تنبغي المبادرة إلىٰ نصره إلا إذا كان مظلوماً، إن نصره من غير هذا الطريق يشعر الآخرين أنك ظالم، وأنك تحابي بعض الأولاد علىٰ حساب البعض الآخر، وإذا نصرت واحداً وشعر الثاني أنك ظلمته، فقد يصرح لك بذلك ويقول لك: ظلمتني، فلا يكون العلاج في هذه الحالة عقابه علىٰ تلك الكلمة، علىٰ أساس أنها سوء أدب، بل ينبغي علىٰ المربي أن يستقبل هذه الكلمات برحابة صدر، ويبين له أنه لم يظلمه، وأن هذا هو التصرف السليم، ويدلل علىٰ ذلك بما لديه من أدلة، فإن ضرْبه وعقابه لن يغير من حكم الطفل علىٰ فعل المربي، بينما البيان وإقامة الدليل قد يوضح له الحقيقة، ويقنعه بموقف مربيه، ويرسخ في نفسه أن المظلوم ينبغي نصره.

■ **استخدام الألفاظ الحسنة:**

لا تخلو الأطفال من التصرفات غير المرغوب فيها، وقد يحمل ذلك بعض المربين علىٰ سب الطفل بألفاظ قبيحة كاللعن، أو تلقيبه بأسماء بعض الحيوانات وغير ذلك، ولا شك أن هذا سينتقل بدوره للطفل فيتعامل به مع إخوانه وأخواته أو من يتصل بهم.

وخير من أن نقول له مائة مرة: لا تقل كذا، لا تقل كذا، علينا أن لا نستخدم نحن هذه الألفاظ التي ننهىٰ عنها في تعاملنا معه، وإذا غضب المربي علىٰ الطفل فبدلاً من سبِّه أو الدعاء عليه، يقول له: أصلحك الله أو رحمك الله أو نحو ذلك.

عن أم الفضل ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ قالت: «رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ قالت: فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: خيراً، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه بلبن ابنك قثم، قالت: فولدت حسناً، فأُعطِيته فأرضعته حتىٰ تحرك أو فطمته، ثم جئت به إلىٰ رسول الله ﷺ فأجلسته في حجره فبال، فضربت بين كتفيه، فقال: أرفقي بابني رحمك الله أو أصلحك الله، أوجعتِ ابني، قالت: قلت: يا رسول الله اخلع

(١) أخرجه أحمد: رقم٢٥٦٤١، وقال الأرنؤوط: صحيح.

إزارك والبس ثوباً غيره حتىٰ أغسله، قال : إنما يغسل بـول الجارية وينضح بـول الغلام»(١)، فهذا الدعاء من المربي قد يستجيب الله له فيكون خيراً للولد، وفي الوقت نفسه يتعلم الطفل كيف يتصرف في مثل هذه المواقف.

كما ينبغي أن يعوَّد الطفل علىٰ كيفية الحديث مع من هو أكبر منه، من حيث استخدام الألفاظ الحسنة، ومناداته بالألقاب التي فيها التوقير، كالشيخ والأستاذ ويا عم ونحو ذلك، بدلاً من أن تجد طفلاً صغيراً وهو ينادي علىٰ رجل كبير، قد يكون أكبر من والده فيناديه باسمه ويقول له : يا فلان، وقد لا يدرك الطفل الصغير هذا الأمر، وإنما التقصير من المربي الذي لم يرشده إلىٰ ذلك.

■ **الانتباه لأخلاق الطفل:**

توجد ـ أحياناً ـ عند الطفل بعض أخلاق وسلوكيات غير مرغوب فيها، فعلىٰ المربي أن يحرص علىٰ التخلص منها مع ظهورها، ولا ينتظر بها، فإن ذلك مما يزيدها بمرور الأيام رسوخاً وثباتاً في نفس الطفل، ويصعب بعد ذلك تغييرها أو تعديلها، يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ علىٰ ما عوده المربي في صغره : من حَرَدٍ وغضب، ولجاج وعجلة، وخفة مع هواه، وطيش وحِدّة، وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها)(١).

وينبغي اتباع الحكمة في التحذير أو النهي عن تلك الأخلاق المرزولة، كـ «أن يزجر عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة، ويورث الجرأة

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٢) إحياء علوم الدين، لـ: أبي حامد الغزالي: ١/ ٥٧.

على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار»(٢)، ومن الأمور المهمة في ذلك حفظ الطفل عن الاختلاط بأطفال آخرين تكون أخلاقهم سيئة، حتى وإن كانوا أقرباءه.

■ **الانتباه لصحة الطفل ونظافته وهيئته:**

الأطفال في السن الصغيرة يكونون عرضة للأمراض أكثر من غيرهم، وهم في الوقت نفسه ـ غالباً ـ لا يدركون بصورة حسنة وضعهم الصحي، أو العناية به، فعلى المربي أن يتفقدهم ويتحسسهم، كما يعتني بهيئتهم ومنظرهم، فقد رأى رسول الله ﷺ أجسام أبناء جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ نحيفة نحيلة، فقال لأسماء بنت عميس: «مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة؟ تصيبهم الحاجة؟ قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: أرقيهم، قالت: فعرضت عليه، فقال: أرقيهم»(١) (الضارع: النحيف الضاوي الجسم) فقد استفسر الرسول ﷺ عن سبب نحافة جسم الطفل، وأرشد إلى رقيتهم لدفع العين عنهم، لما علم أن ذلك من العين.

كما أرشد إلى العناية بنظافتهم وهيئتهم، فعن عبد الله بن جعفر: «أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ثم قال: ادعوا لي بني أخي، فجيء بنا كأنّا أفرخ، فقال: ادعوا لي الحلاق، فأمره فحلق رؤوسنا»(٢) قوله: «كأنا أَفْرُخ» بفتح فسكون فضم جمع فرخ، وهو صغير ولد الطير، ووجه التشبيه أن شعرهم يشبه زغب الطير، وهو أول ما يطلع من ريشه، فأمره: أي الحلاق بعد مجيئه، فحلق رؤوسنا، وإنما حلق رؤوسهم مع أن إبقاء الشعر أفضل إلا بعد فراغ أحد النسكين، لما رأى من اشتغال أمهم أسماء بنت عميس عن ترجيل شعورهم، بما أصابها من قتل زوجها جعفر

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، رقم ٤٠٧٥.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الترجل، رقم ٣٦٦٠، والنسائي: كتاب الزينة، رقم ٥١٣٢، وأحمد: رقم ١٦٥٩.

(٣) عون المعبود: ١١/ ١٦٤، نقله عن القاري.

ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ في سبيل الله، فأشفق عليهم من الوسخ والقمل[٣].

ومما ينبغي أن يُعتنىٰ به ـ أيضاً ـ هيئة الطفل في شكله ولباسه، فيحرص المربي علىٰ جمال منظره من حيث النظافة واللبس الحسن، فإن الله ـ تعالىٰ ـ جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة، ومن الحرص علىٰ الجمال وحسن الهيئة تجنب قصات الشعر الغريبة التي تدل علىٰ فساد الذوق والرغبة في الإتيان بالغرائب، وقد كان فيما مضىٰ هناك قَصَّة تسمىٰ بالقزع حيث يُقص جزء من شعر الطفل ويُترك جزء آخر، وهذا له أكثر من صورة، وما زالت هذه القَصّة يعمل بها حتىٰ الآن، وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عنها، فعن ابن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ: «أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن القَزَع، قال: قلت لنافع (الراوي عن ابن عمر): وما القزع؟ قال: يُحلَق بعض رأس الصبي ويُترك بعضٌ»[١]، فلا ينبغي للمربي أن يسمح لمن يربيه بعمل هذه القصات بحجة أنه صغير وهو غير مكلف.

وينبغي أن يتخير له من جيد اللباس، من غير أن يلبسه الحرير أو الذهب، وقد منع من ذلك كثير من الصحابة وأهل العلم، فعن جابر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: «كنا ننزعه عن الغلمان ونتركه علىٰ الجواري»[٢]، والضمير في (ننزعه) يعود إلىٰ الحرير، والضمير في (كنا) يرجع إلىٰ أقرانه وهم الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم، وعن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف أنه: «دخل مع عبد الرحمن علىٰ عمر، وعليه قميص من حرير وقُلبان من ذهب فشق القميص، وفك القلبين وقال: اذهب إلىٰ أمك»[٣]، وعن ابن مسعود: «أتاه ابن له

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب اللباس والزينة، رقم ٣٩٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب اللباس، رقم ٣٥٣٧، الجواري: البنات.

(٣) شرح معاني الآثار: ٤/ ٢٤٨، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥/ ١٥٢، القلبان مثنىٰ قلب وهو: السوار.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١١/ ٧٠، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٩/ ١٥٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٥/ ١٥٢.

وعليه قميص من حرير، والغلام معجب بقميصه، فلما دنا من عبد الله خرقه ثم قال: اذهب إلىٰ أمك فقل لها: فلتلبسك قميصاً غير هذا»[٤]، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق آخر بلفظ: «رأىٰ ابن مسعود ابناً له عليه قميص من حرير فشقه، وقال: إنما هذا للنساء»[٥]، وعن سعيد بن جبير قال: «قدم حذيفة بن اليمان من سفر، وقد كُسي ولده الحرير، فنزع منه ما كان علىٰ ذكور ولده، وترك منه ما كان علىٰ بناته»[١]، فتنشئة الطفل علىٰ تلك القصات، أو ارتداء الحرير، أو لبس الذهب، يكون وسيلة لتنشئة طفل غير سوي حيث يقترب بذلك في مظهره من البنات، وهو مما يقود إلىٰ نتائج غير سارة.

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٥/ ١٥٢.

الفصل الثاني

مرحلة الطفولة في سنّ التمييز

المبحث الأول : الخصائص والمميزات .

المبحث الثاني : العوائق والمشكلات .

المبحث الثالث : الأساليب والوسائل .

المبحث الرابع : الثواب والعقاب .

المبحث الخامس : التوجيهات والنصائح .

الفصل الثاني
مرحلة الطفولة في سنّ التمييز

وهي المرحلة التي تمتد من سن السادسة تقريباً أو السابعة، إلىٰ قبيل البلوغ أو الخامسة عشرة من عمره، وهي تشمل المرحلتين التعليميتين: الابتدائية والمتوسطة، أي: ما يقارب تسع سنوات، وهي مرحلة طويلة تشترك في بداياتها مع مرحلة الطفولة دون سن التمييز، وتشترك في نهاياتها مع مرحلة الرجولة، فهي تأخذ من هذه شيئاً، وتأخذ من تلك شيئاً آخر، فهو قد فارق حياة الطفولة الأولىٰ، بينما لم يصل إلىٰ كمال الرجولة.

قال ابن القيم أثناء حديثه عن مراحل نمو الطفل: (ينشأ معه التمييز والعقل علىٰ التدريج شيئاً فشيئاً، إلىٰ سن التمييز، وليس له سن معين، بل من الناس ما يميز لخمس، كما قال محمود بن الربيع: عقلت من النبي ﷺ مجة مجّها في وجهي من دلو في بئرهم وأنا ابن خمس سنين، ولذلك جعلت الخمس سنين حداً لحدة سماع الصبي، وبعضهم يميز لأقل منها، ويذكر أموراً جرت له وهو دون الخمس سنين . . . فإذا صار له سبع سنين دخل في سن التمييز، وأمر بالصلاة. . فإذا صار ابن عشر ازداد قوة وعقلاً واحتمالاً للعبادات، فيضرب علىٰ ترك الصلاة، كما أمر به النبي ﷺ، وهذا ضرب تأديب وتمرين، وعند بلوغ العشر يتجدد له حال أخرىٰ يقوىٰ فيها تمييزه ومعرفته، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلىٰ وجوب الإيمان عليه في هذا الحال، وأنه يعاقب علىٰ تركه، وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره وهو قول قوي جداً، وإنْ رُفع عنه قلم التكليف بالفروع، فإنه قد أعطي آلة معرفة الصانع والإقرار بتوحيده وصدق رسله، وتمكن من نظر مثله واستدلاله، كما هو متمكن من فهم العلوم والصنائع ومصالح دنياه،

فلا عذر له في الكفر بالله ورسوله، مع أن أدلة الإيمان بالله ورسوله أظهر من كل علم وصناعة يتعلمها. . . وعدم ترتيب الأحكام عليهم في الدنيا قبل البلوغ، لا يدل على عدم ترتيبها عليهم في الآخرة، وهذا القول هو المحكي عن أبي حنيفة وأصحابه وهو في غاية القوة(١)، ثم بعد العشر إلى سن البلوغ يسمى مراهقاً ومناهزاً للاحتلام(٢).

(١) ويدل لصحة هذا القول قول الرسول ﷺ عندما عاد خادمه الغلام اليهودي أثناء مرضه، وطلب منه الإسلام وأسلم، قال الرسول ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»، وقال لأصحابه ـ رضي الله تعالى عنهم ـ: «لوا أخاكم»، أي تولوا أمر دفنه والصلاة عليه ولا تتركوه لليهود لأنه أسلم، والحديث أخرجه البخاري وغيره، والشاهد قوله: «الحمد الله الذي أنقذه بي من النار»، فدل على أنه لو لم يسلم لكان من أهل النار، علماً أنه لم يكن قد بلغ بعد، قال ابن حجر رحمه الله: (وفيه عرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله «أنقذه بي من النار» دلالة على أنه صح إسلامه، وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب). فتح الباري: ٣/ ٢٢١.

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٩١ ـ ٢٩٧، وحديث محمود بن الربيع في الصحيحين.

المبحث الأول
الخصائص والمميزات

تميزت هذه المرحلة عما قبلها بعدة مميزات أو خصائص، فمن ذلك:

● **التمييز:**

والمراد به أن يكون للصبي نوع إدراك وعقل يميز به بين الأمور، فيميز ما يضره مما ينفعه، ويستر عورته عن الناس، ويتمكن من الأكل وحده باستقامة، كما يعرف كيف يتطهر وحده كذلك، ويقدر التصرفات وما يترتب عليها، لكن تمييزه لا يبلغ حد تمييز البالغين الذين كملت آلتهم العقلية، فهو يفهم الخطاب ويرد الجواب، أي: إذا كُلِّم بشيء من مقاصد العقلاء فهمه وأحسن الجواب عنه[1].

ويقوىٰ تمييز الصبي ويشتد، وتتسع مداركه بانتقاله من أول مرحلة سن التمييز إلىٰ وسطها إلىٰ آخرها، حيث يظهر التفكير المنطقي لدىٰ الصبي، ويربط بين الأحداث وأسبابها، كما تظهر قدرته علىٰ اكتشاف العلاقات بين الأشياء، والقدرة علىٰ الإتيان بأفكار جديدة، لكنه تمييز ناقص بالنسبة إلىٰ تمييز المكلفين، سواء من حيث القدرة العقلية أو من حيث الخبرة المكتسبة.

وهذا الصبي المميز له أحكام كثيرة في الفقه مترتبة علىٰ كونه مميزاً، وقد تحدث الفقهاء في المذاهب كلها عن أحكام متعلقة به في أغلب الأبواب الفقهية: فتراهم يتحدثون عن حكم إسلام الصبي المميز، وعن حكم ردته، وعن حكم إمامته، وهل تنعقد به صلاة الجمعة، وحكم شهادته بدخول شهر رمضان، وحكم انعقاد يمينه، ووصيته، وتصرفه بالبيع والشراء، إلىٰ غير ذلك من الأحكام الكثيرة، مما يدل علىٰ أهمية تلك المرحلة، وأنها تباين المرحلة التي

(١) انظر: عمدة القاري: ٢/ ٦٨.

سبقتها، وهذا مما يرتب على المربين أن تتوجه عنايتهم لضبط الصبيان من الناحية التكليفية؛ لأن أعمالهم تترتب عليها أحكام شرعية.

● **تعدد مصادر التربية والتوجيه:**

ببلوغ الصبي هذه المرحلة يبدأ خروجه من المنزل يزداد، ويبدأ دور المؤثرات الخارجية في الظهور والتأثير، فيظهر دور المعلم وأثره في التربية، كما يظهر أثر المنهج الدراسي على الصبي من خلال المعارف التي تعطى له، ويظهر - أيضاً - أثر الخلطة مع الزملاء، وأثر الاحتكاك بالشارع والجيران، وهنا تظهر المشكلة وهو ما إذا كانت هذه المصادر مختلفة وتعمل في اتجاهات متضادة، فعلى المربي - الأبوان والمعلم - أن يتحسب لذلك، ويقوم بعملية تحصين أولية، فيبين له أن لا يتابع أحداً من الزملاء أو ممن هم في سنه على قول أو فعل إلا بعد عرضه على مربيه، ويحذره من متابعة من لا يعرفهم، ولو قالوا له: نحن أصدقاء أبيك أو نحو تلك الكلمات، ويحذره - أيضاً - من ركوب السيارة مع الغرباء أو اصطحابهم، حتى لو قالوا له: نحن نوصلك إلى البيت، كما يلاحظ السلوك الجديد الذي يطرأ على الصبي، ويتتبعه ويعرف من أين جاءه أو اكتسبه، فإن كان سلوكاً حسناً أشاد به، وإن كان غير ذلك فليعمل على تعديل المسار، والتقليل من أثر المصادر الخارجية، ومن المناسب في ذلك أن يحرص الأب على اختيار المدرسة التي ينتمي إليها ابنه، كما يحرص على اختيار الحي الذي يسكن فيه؛ لأن سكانه هم جيرانه، وأولادهم أصدقاء ولده.

● **تفتُّح المدارك ونمُّوها:**

بالوصول إلى هذه المرحلة تتفتح مدارك الصبي ويزداد إدراكه فهو يدرك الزمن، كما يستطيع أن يميز بين اليد اليمنى واليد اليسرى، قال معاذ بن عبد الله ابن خبيب الجهني لامرأته: متى يصلي الصبي؟ فقالت: كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك، فقال: إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، رقم ٤١٩.

ويزداد إدراك الصبي شيئاً فشيئاً وخاصة في وسط هذه المرحلة وآخرها، وتصير لديه القدرة على فهم الاستدلال وممارسته، وعدم قبول الأمور إلا بدليلها، واكتشاف ما في المعلومات من أخطاء أو تناقضات، وعلى ذلك فلا ينبغي إهمال قدرة الصبي على التفكير، والنظر إليه على أنه قاصر عن بلوغ ذلك المستوى، فإن منهم من تكون لديه تصورات وأفكار إبداعية، بل إن منهم من يأتي ببعض الأسئلة التي ربما يعجز أو يتحير في إجابتها من هو أكبر منه .

وفي هذه المرحلة تثور عند الصبي أسئلة لم تكن تثار من قبل، لكن إذا لم يكن عند المربي جواب على ذلك التساؤل فماذا يفعل؟

بعض المربين قد يجيب بجواب وهو يعلم أنه غير صحيح، وبعضهم قد يجيب وهو لا يدري هل الجواب صحيح أم لا، وبعضهم قد يفتعل مشكلة معه أو مع أحد في البيت أو الفصل الدراسي حتى ينصرف الصبي عن السؤال، ويسكت بفعل الموقف الجديد، وبعضهم ربما قال: أنا الآن متعب سلني عنه بعد فترة، على أمل أن ينسى الصبي بعد ذلك.

والموقف الذي ينبغي للمربي أن يسلكه في هذه الحالة هو أنه إذا أمكنه أن يتوصل إلى الجواب بطريقة ذكية، كأن يقول: هذا سؤال جيد نطرحه على إخوانك لنرى من منهم يعرف الجواب، فقد يفتح كلام أحد الأبناء أو التلاميذ طريقاً إلى الجواب الصحيح، ويمكن للمربي - أيضاً - أن يعلن أنه أعطى الأولادَ فرصةً للبحث عن الجواب مدة يوم أو نحو ذلك، وأنه سيخصص جائزة لمن يأتي بالجواب السليم، ويكون هذا مخرجاً حسناً يعطي المربي فرصة من الوقت للبحث عن جواب السؤال المذكور.

وقد يكون من البدائل المتاحة أن تُنتهز هذه الفرصة لتعليم الصبي أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الناس يختلفون في علومهم، وأن الإنسان مهما أوتي فلن يمكنه أن يحيط بجميع العلوم، وأن عليه إذا كان لا يعلم أن يقول: لا أعلم،

ولا يجيب بالخطأ، فيدلهم بهذا على السلوك الحسن الذي ينبغي عليهم سلوكه في مثل هذه الأمور، ويذكر لهم أن قول «لا أدري» يمثل ثلث العلم، وكيف أن كبار العلماء من المسلمين كان لا يتحرج أحدهم من قول «لا أدري» لما لا يعلمه، وفي ذلك قصص مشهورة يتخير منها المربي ما شاء، والمربي الناصح هو من يملك القدرة على الاختيار الأصلح من هذه البدائل، المناسبة لحالة من يربيهم.

لكن إذا كان الجواب معلوماً لدى المربي ولا يمنعه من الجواب إلا الحرج من حساسية الموضوع، كأن يكون السؤال عن شيء متعلق بأمور الرجال مع النساء، فماذا يصنع؟ قد تتعدد الاجتهادات في ذلك، لكن هناك أمور ينبغي ألا يتجاوزها المربي، وهي: ليحذر المربي من إعطاء جواب غير صحيح، وليحذر نهر الصبي عن سؤال مثل هذا السؤال، وليحذر التسويف في الجواب خاصة إذا رأى السؤال مستحوذاً على تفكير الصبي؛ لأنه سيبحث عن الجواب عند من يجيبه عليه، وخير لك أن تجيبه بنفسك بدلاً من أن يحصل عليه بطريق آخر لا تدري مدى صوابه، ومن الأشياء النافعة في ذلك أن يقتصر المربي على جملة قصيرة معناها مفهوم، لكن مضمونها مجمل من غير الدخول في التفاصيل، وكذلك استخدام الكناية، وفي الكتاب والسنة كنايات كثيرة عما يستقبح ذكره، فقد كنى الله - تعالى - عن الجماع بالمباشرة كما في قوله: ﴿**وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ...**﴾ الآية [**البقرة**: ١٨٧] وكنى عن الجماع - أيضاً - بالرفث في قوله - تعالى -: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...**﴾ الآية [**البقرة**: ١٨٧] وفي السنة نماذج - أيضاً - لذلك، وأولى ما يُقدم في ذلك الجواب بآية من كتاب الله تعالى، أو حديث من أحاديث الرسول ﷺ.

- **تكوين العلاقات الاجتماعية:**

نتيجة لخروج الصبي المتكرر من البيت والذهاب إلى المسجد والمدرسة، والاحتكاك بأقرانه في تلك الأماكن، يبدأ الصبي في تكوين علاقات اجتماعية أوسع من علاقاته السابقة التي كانت قاصرة على إخوته أو أقاربه، ويظهر

من الصبي الرغبة في تكوين الصداقات والعلاقات، وما يتبع ذلك من التأثر بهم والحرص على مودتهم، وتبادل المقتنيات الشخصية معهم أو الزيارات، ومثل هذا الاتجاه لا ينبغي منعه بل ينبغي دعمه وتأييده، حتى يتعود الصبي التعامل مع الناس، وهو عما قريب سيصير رجلاً، فلا بد أن تكون له الخبرة الكافية في ذلك، لكن ينبغي على المربي أن يتنبه لنوعية تربية هؤلاء الأصدقاء، وذلك لأثرها على الصبي في هذه المرحلة، حيث حاسته النقدية أو قدرته على النقد لا تتجاوز المواقف الآنية، فقد يعود إلى قول أو فعل ما انتقده منذ وقت قليل، وخاصة إذا صدر عن صديقه أو زميله، ولهذا قالوا: الصاحب ساحب، وأبلغ منه قول الرسول ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1] وفي رواية: «يخالط» بدلاً من «يخالل» (والخلّة: الصداقة والمحبة).

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤ / ١٨٩، وقال: صحيح إن شاء الله ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي: كتاب الزهد، رقم ٢٣٠٠، وأبو داود: كتاب الأدب، رقم ٤١٩٣، وأحمد: رقم ٨٠٦٥، وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده جيد.

المبحث الثاني
العوائق والمشكلات

ما يلاقيه المربي من العوائق والمشكلات في هذه المرحلة هو ـ تقريباً ـ نظير ما لاقاه في المرحلة التي سبقتها، وإذا كان المربي قد بذل جهداً طيباً للتغلب عليها، فإنها تضمحل ـ بعون الله ـ مع تقدم عمر الصبي، لكن في هذه المرحلة تظهر عوائق ومشكلات أخرىٰ لم تكن تظهر من قبل، وذلك نظراً للاحتكاك بالمجتمع الخارجي، وأخطرها علىٰ الإطلاق الصحبة السيئة، والتي قد يترتب عليها أمور كثيرة: كشرب الدخان، أو الحصول علىٰ المجلات الخليعة، أو أشرطة الفيديو أو الحاسب الفاسدة، أو الأفلام الجنسية وغير ذلك.

وينبغي للمربي ـ هنا ـ أن يرشد ابنه أو من يربيه إلىٰ أن الإنسان لا يصاحب إلا من تكون صحبته دالة علىٰ الخير، ويبين له أن الصحبة الأخرىٰ لا فائدة فيها، بل تجلب الخيبة والخسارة، ويذكر له بعض الأمثلة في ذلك، ويذكر له قول الرسول الكريم ﷺ: «لا تصحب إلا مؤمناً»[1]، ثم يتعرف عن قرب علىٰ أصدقاء ابنه؛ ليكون علىٰ بصيرة من الأمر، ويتقدم إليه بعدم استعارة أي كتاب أو مجلة أو شريط أو نحو ذلك من أحد من أصدقائه إلا بعد استئذانه، ويتابع ذلك.

وينبغي أن تكون للوالد زيارات إلىٰ المدرسة التي يتلقىٰ ابنه فيها العلم، ويسأل عنه معلميه، ويحرص علىٰ أن يراه الابن هناك في المدرسة، حتىٰ يعلم أن أباه يتابعه ويسأل عنه، مما يكون دافعاً له لسلوك الصراط السوي، لكن علىٰ المربي أن يحذر من التجسس عليه، بحجة الرغبة في معرفة سلوكه بغرض تقويمه وتعديله، فالتجسس خلق ذميم وقد نهىٰ الله تعالىٰ عنه ورسوله ﷺ، وما نهت

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: رقم ١٠٩٠٩.

عنه الشريعة فليس فيه فائدة راجحة، بل هو إما مفسدة خالصة أو مفسدة غالبة.

فبدلاً من فتح حقيبته في غيبته، قُلْ له عقب رجوعه مباشرة - بعيداً عن إخوانه وأخواته - افتح حقيبتك وأرني ما فيها، هذا إذا كان هناك ما يدعو للريبة، بل لو سألته عما معه من القصص والمجلات التي استعارها من زملائه، فسوف يجيب بالحقيقة إذا كان قد عوّد الصدق في المرحلة السابقة، بل قد يبادر بسؤالك - إذا شعر بالحرص عليه مع الرحمة له - عمّا معه من هذه القصص والمجلات، وهل هي مناسبة أم يقوم بإرجاعها لأصحابها.

لكن إذا وجد المربي معه قصصاً غير مناسبة أو مجلات غير مقبولة، فماذا يفعل؟ الأولىٰ في ذلك أن يعظه ويبين له ما في هذه الأشياء من مفاسد، وما يمكن أن تجلبه عليه من ضرر في دينه ودنياه، ولا ينبغي أن يبادر إلىٰ سبِّه أو شتمه أو ضربه، خاصة إذا كانت هذه أول مرة يفعل فيها ذلك، وعلىٰ المربي أن يأتي له بالبديل المناسب؛ لأن المنع وحده لا يكفي.

المبحث الثالث
الأساليب والوسائل

إضافة إلىٰ الأساليب والوسائل المذكورة في الفصل الأول، مع مراعاة فروق المراحل من حيث المضمون، إذ ما تقدم هناك صالح هنا بعد ملئه بمضمون مناسب لهذه المرحلة:

- **التربية بالأحداث:**

التربية بالأحداث منهج أصيل في التربية الإسلامية حيث يُستغل الحدث في ترسيخ القيم المطلوبة، حيث يكون هناك توافق بينها وبين الحدث الواقع، فيحدث من جراء ذلك فهم عميق وتأثر كبير، وهناك كثير من آيات القرآن الكريم جاءت عقب أحداث مما تعد نموذجاً للتربية بالأحداث، وانظر حادثة الإفك وما جاء فيها من قيم لتربية المجتمع المسلم، لم تكن لتحقق النتيجة نفسها لو كانت أوامر ونواهٍ غير مرتبطة بحدث، ولذلك قال الله ـ تعالىٰ ـ في هذه الحادثة رغم شدة وقعها علىٰ المسلمين: ﴿ **لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**... ﴾ الآية [**النور**: ١١]، وكذلك لو نظرنا إلىٰ سنة المصطفىٰ ﷺ لوجدنا كثيراً منها يستعمل هذا الأسلوب، في كثير من المواقف، فعندما أراد الرسول ﷺ أن يحقر شأن الدنيا عند المسلمين ويهون أمرها لم يقل لهم ـ مثلاً ـ: إن الدنيا هينة وأنها لا تساوي شيئاً، واكتفىٰ بذلك الكلام وهو كاف عندما يصدر منه، لكنه ﷺ عمد إلىٰ استغلال حدث ليرسخ هذا المعنىٰ في نفوس أصحابه، فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ: «أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته[1]، فمرّ بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال:

(١) كنفته: الكنف والكنفة ناحية الشيء، وناحيتا كل شيء كنفاه، والجمع أكناف. لسان العرب: مادة (كنف).

أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[١]، والأمثلة من سنته ﷺ كثيرة، فعلى المربي أن يستغل الأحداث التي تجري مع الصبي أو أمامه ـ وما أكثرها ـ ليتخذها منطلقاً للتربية المطلوبة.

● **تكوين المكتبات:**

مع وصول الصبي لهذه المرحلة فهو في الغالب بدأ يتعلم القراءة والكتابة، ومستواه يتحسن بتوالي الأيام، ومن المفيد في هذه المرحلة أن يبدأ المربي في تكوين مكتبة مناسبة في محتوياتها وأسلوبها لقدرات الصبي وإمكاناته، حسب استعدادات المربي المالية، ولا بد فيها من الانتقاء والاختيار، على أن يكون مما أُعد أصلاً لهذه المرحلة، ومن المستحسن أن يشرك معه أهل الخبرة في الانتقاء والاختيار، ولا يجوز أن يُجلب كل ما في السوق من غير تفحص له واختيار، ولا مانع من مشاركة الصبي في الاختيار، بل ينبغي ذلك؛ لأن في هذا تكوين لشخصية الصبي وشعوره بأهميته وقدرته على اتخاذ القرار، لكن مع المتابعة والتوجيه.

وهذه المكتبة المتعددة ينبغي الاستفادة منها، ولا تكون مجرد زينة في البيت يراها الضيوف عند دخولهم المنزل وكفى، ولا ينبغي ـ أيضاً ـ أن توضع الأقفال عليها بحيث لا تفتح للصبي إلا في أوقات محددة، كنهاية الأسبوع مثلاً، بل تترك كي يَرِدَها الصبي في أي وقت وتشجيعه على ذلك، كل ما هنالك أن يوجه ويتابع لمذاكرة درسه، وإجابة وحل التدريبات المطلوبة منه.

وينبغي أن يكون مكان المكتبة مناسباً، بحيث يستريح الصبي في جلوسه من غير مضايقات أو ضوضاء، مع تزويد المكان بالإضاءة المناسبة، والمكتبات اليوم بفعل التطور التقني لم تعد قاصرة على المكتبة الورقية، بل هناك إلى جانبها مكتبات سمعية، وأخرى بصرية، وثالثة إلكترونية، وكل ذلك مطلوب لكن في حدود الإمكانات المادية المتوافرة.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم ٥٢٥٧، أسك: صغير الأذنين.

● **تعويد الصبي على البحث :**

من الأساليب المهمة في التربية أن يُعود الصبي على البحث في هذه المكتبة للحصول على المعلومة التي يريدها ، فعندما يريد الصبي أو يسأل عن شيء جوابه في هذه المكتبة ، فيحسن بالمربي أن يدله على مظانّه ، ويطلب منه أن يستخرجه بنفسه ويتابعه ، ولا يبادر المربي بالجواب ، وذلك حتى يتعلم الصبي كيف يبحث ويدرك أهمية المصادر ، ويشعر بلذة النجاح في الوصول إلى مبتغاه بالاعتماد على نفسه ، ثم على المربي بعد ذلك أن يتأكد هل وُفق الصبي في الوصول إلى ما يريد أم لا ، وتبعاً للنتيجة يبدأ التقويم .

كثير من المربين لا يصبرون على ذلك ويودون ـ توفيراً للوقت من وجهة نظرهم ـ سرعة الإجابة على استفسار الصبي من تلقاء أنفسهم ، من غير إرشاده أو حثه على البحث ، ولا شك أنهم بذلك قد يقتلون روح البحث في نفس الصبي ، وهذه خسارة عظيمة ولا شك ، تنال الصبي وتنال المجتمع من ورائه .

ولعل من الأمور السيئة التي تحدث في ذلك أن يقوم الوالدان أو المربون بحلِّ أسئلة المسابقات الموضوعة ـ أصلاً ـ للصبيان نيابة عنهم ، أملاً في الفوز بجائزة المسابقة ، وهم إن فازوا بها فقد خسروا جزءاً مهماً من تربية الصبي ، وأضاعوا على واضعي المسابقة هدفهم منها .

● **تنظيم جلسة أسبوعية للمدارسة :**

من وسائل التربية التي يهملها كثير من المربين تنظيم جلسة أسبوعية على الأقل ، يجتمع فيها الصبيان ـ البنون والبنات ـ مع الوالدين للتربية والتعليم ، وإشاعة صلة التراحم والترابط بين الإخوة والأخوات ، مع تنظيم بعض المسابقات الثقافية أو العلمية ، التي تقيس الخبرة المتراكمة لدى الأولاد ، ومقدار ما رسخ في أذهانهم من آداب ومعارف .

كما يستحسن أن يكون من نظام هذه الجلسة قراءة بعض آيات من كتاب الله لمعرفة أحكام التجويد في هذه الآيات، مع تفسير موجز لها، ثم تكون هناك قراءة مختارة من كتاب، ويتناقش الجميع بعد القراءة في مضمون القراءة، ويتاح المجال لإلقاء بعض الأسئلة من قبل الأولاد للاستفسار عما أشكل أو غمض عليهم.

ولا ينبغي أن تكون جلسات الوالدين أو المتابعة كلها قاصرة على المواد التعليمية التي يتعلمها الصبي في المدرسة، بحيث إذا ذاكر الصبي درسه أو حل الواجب المطلوب منه، ننظر إليه على أنه قد قام بكل ما ينبغي عليه القيام به، وأن ما بقي من الوقت له أن يفعل فيه ما يشاء من الألعاب أو النوم أو الفسحة أو غير ذلك.

● **إثارة المنافسة (من غير إثارة الشحناء):**

من الأساليب المهمة في حمل الصبيان على الجد والاجتهاد في التعلم أو التأدب أو التربية، إثارة روح المنافسة بينهم، وقد ورد عن السلف ما يدل لذلك فـ «عن سعيد بن جبير أن امرأة أتت ابن عباس بكتاب بعدما ذهب بصره، فدفعه إلى ابنه فتبرأ منه، فدفعه إليَّ فقرأته، فقال لابنه: ألا هذرمته كما هذرمه الغلام المصري»(١)، وهذا الأسلوب ليس قاصراً على هذه المرحلة بل هو صالح للمرحلة التي تسبقه والتي تليه، وإنما الذي يختلف في هذه الحالة هو مضمون المنافسة، وقد ورد في السنة شيء كثير من ذلك.

---

(١) التمهيد: ١٦/ ٩٠، والهذرمة سرعة القراءة، وفي شرح معاني الآثار ١ / ٩٩: «فتترتر فيه»، بدلاً من قوله: «فتبرأ منه»، وهي تعني أن القراءة قد استصعبت عليه فانقطع.

المبحث الرابع
الثواب والعقاب

● **الثواب :**

النفس الإنسانية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، سواء في ذلك الصغير أو الكبير، لذا كان الثواب معلماً بارزاً في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله ـ تعالى ـ ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان، قال الغزالي: (مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس)[(١)]، ولا ينبغي أن يتحول الثواب إلى نوع من الشرط على الفعل، بحيث إذا لم يُعط الصبي لم يفعل، فإن الثواب يظل قائماً بدوره التربوي ما كان ثواباً، فإذا تحول إلى شرط أو إملاء من الصبي، بحيث لا يمكن للمربي أن يحمل الصبي على العمل إلا بهذه الطريقة، فَقَدَ الثواب قيمته التربوية وأتى بالضد منها، فعلى المربي أن يلحظ ذلك في ثوابه على الأفعال والأقوال.

● **العقاب :**

مع دخول الصبي إلى المدرسة، يتنافس مع أقرانه في سبيل تحصيل الدرجات العالية أو العليا في التحصيل المدرسي، ويدخل على الوالدين أمر جديد، حيث تتوجه همة الكثيرين منهم في التربية إلى مجرد تعليم الصبي المعلومات وحفظها وتذكرها، واسترجاعها عند الاختبار، ويصبح تحصيل الدرجات العالية في

---

(١) إحياء علوم الدين: ٣/ ٧٣.

الاختبارات هي العلامة المؤكدة لديهم علىٰ نجاح عملية التربية، حتىٰ لو لم يكن لذلك أثر في سلوك الصبيان.

ضوابط في العقوبة:

● **معرفة سبب العقوبة**:

ويصبح من الأمور التي يعاقب عليها الأبوان في هذه المرحلة تدنِّي درجات الطالب في التحصيل العلمي المدرسي، كما أن تحصيل الدرجات العليا أو العالية من الأمور التي يثيبون عليها، رغم تقصيره في جوانب أُخر من جوانب التربية المهمة، فبينما نجد أن الأبوين أو المربي يغضب غضباً شديداً علىٰ الصبي بسبب تدنِّي درجاته العلمية، وربما عاقبه عقاباً شديداً، في الوقت الذي لا يكاد يحدثه فيه عن المحافظة علىٰ الصلاة في مواعيدها مع إمام المسجد، أو الصدق في الحديث، أو العطف علىٰ المسكين، أو السلوك الحسن مع زملائه، مما يُعظِّم في نفس الصبي الحرص علىٰ التفوق العلمي، أكثر من الحرص علىٰ أداء فرائض الدين والأخلاق الحسنة، بل ربما يبلغ المربي أن الولد قد غش في الاختبار، فلا يكاد ينهاه عن ذلك ما دام قد حقق في الاختبار درجات عالية، وقد يصحو الصبي في بعض الأيام متأخراً فيكون همُّ الوالدين أن يجهزاه سريعاً للخروج إلىٰ المدرسة من غير أن يصلي الصبح، مع العلم أن الصواب أن يصلي أولاً وإن تأخر عن المدرسة، خاصة إذا كان قد بلغ سنه العشر سنوات، ويتحول التعليم بذلك إلىٰ غاية بدل أن يكون وسيلة لتنشئة الإنسان علىٰ ما يحبه الله ـ تعالىٰ ـ ويرضاه.

فإذا انتقلنا من هذا الجانب ونظرنا إلىٰ جانب ضعف التحصيل الدراسي، فلا بد قبل المبادرة بتوقيع العقوبة من أي نوع كانت، من معرفة السبب هل هذا التدنِّي ناتج عن إهمال وكسل وتضييع وقت، أم أن هذا هو مستوىٰ الصبي العلمي وهذه هي قدراته؟ ولا شك أن الأمرين لا يستويان، كما أن مستوىٰ الصبي وقدراته العلمية لا تحسنها العقوبة، فكل إنسان له ملكات وطاقات[1]، والصواب في ذلك أن نحاول استغلال طاقات الصبي الاستغلال الأمثل، لا أن نطلب منه ما لا يمكنه تحقيقه، فنكون كمن يكلف بالمستحيل،

(١) وإنما تنفع العقوبة في تحسين التحصيل العلمي عندما يوجد كسل أو إهمال.

ولا بد أن يعلم الأبوان أو المربي أن الناس لا يمكن صبّهم جميعاً في قالب واحد، فقد فرق الله ـ تعالىٰ ـ بين الناس في أمور كثيرة: في الطول واللون والوزن والشكل والغنىٰ والفقر والاستعدادات العقلية والانفعالات الداخلية، وغير ذلك.

● **مخاطبة العقل قبل مخاطبة الجلد والبشرة:**

ينبغي في هذه المرحلة في العقاب اللجوء إلىٰ مخاطبة العقل أكثر من مخاطبة الجلد والبشرة؛ لأن الصبي بدأت تتكون لديه ملكات عقلية يقدر بها علىٰ الفهم والاقتناع، وإقامة الحجة منه أو عليه، فاللجوء إلىٰ ذلك مقدم علىٰ اللجوء إلىٰ العقاب البدني، فإن العقاب البدني في هذه المرحلة ـ خاصة في الحقبة الأخيرة منها ـ ربما أورث نوعاً من العناد أو التمرد الذي يحدث بعده انفلات كامل، يخرج به الصبي من تحت سيطرة الأبوين أو المربي.

● **التدرج في العقوبة:**

وقبل أن يلجأ المربي إلىٰ العقاب البدني فينبغي أن تكون هناك مراحل قد مرَّ بها المربي في محاولة تقويم الصبي، يقول الغزالي رحمه الله تعالىٰ: (فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره، ولا يكاشفه، ولا يُظهر له أنه يَتَصَوَّر أن يتجاسر أحد علىٰ مثله، ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتىٰ لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً، ويعظم الأمر فيه، ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يُطَّلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه، فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح)(١).

● **الإيلام مع عدم الإضرار:**

وعندما يختار المربي العقاب البدني لرؤيته مناسبته لواقع الخطأ، فعليه أن يدرك أن العقاب البدني قد يكون فيه نوع من الإيلام، حتىٰ يحدث الأثر

(١) إحياء علوم الدين: ٣/ ٧٣.

المرجو منه، لكن لا ينبغي أن يكون مضراً، كأن يترتب عليه كسر أو جرح أو نحو ذلك بحجة التربية؛ لأن الحرص على التربية لا يسوغ هذا العمل، كما لا ينبغي أن يكون فيه إهدار لكرامة الصبي؛ لأن ذلك يعوده على التفريط في الحفاظ على الكرامة، فلا ينبغي أن يصفعه على وجهه فإن ذلك محظور شرعاً، كما لا ينبغي أن يبصق عليه، أو أن يقوم بتمزيق ملابسه ونحو ذلك أو سبِّه بألفاظ قبيحة، فإن في ذلك إهانة واعتداء على كرامة الإنسان.

● **العقاب لتعديل السلوك وليس للانتقام:**

ولا ينبغي أن يُشعر المربي الصبي عند العقوبة بعدوانيته أو قسوته، بل ينبغي أن يشعره بأن هذا العقاب ليس إلا لتعديل سلوكه، وعدم الوقوع في الخطأ مرة أخرى، مع ظهور شفقته عليه ورحمته به، وهذا رسولنا ﷺ لما رأى صحابياً يسب شارباً للخمر بعدما أقيم عليه الحد نهاه عن ذلك، فعن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ أُتي برجل قد شرب، فقال رسول الله ﷺ اضربوه، قال: فمنّا الضارب بيده، ومنا الضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله، قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: رحمك الله»[(١)]، ومن الأخطاء التي يقع فيها المربي في محاولة إشعار الصبي بشفقته عليه أن يقوم بمصالحته فور توقيع العقاب، وقد يعطيه بعض المال أو يشتري له بعض قطع الحلوى أو ما شابه ذلك، مما يضيع الثمرة المرجوة من العقاب.

● **العقاب درجات متفاوتة:**

والعقاب البدني لا يجري كله على منوال واحد بل هو درجات، وأول درجاته إبراز أداة العقوبة كالعصا أو السوط، فإن ذلك مما يسهم في التربية ويحمل الصبي على السلوك الحميد المرغوب، وقد قال الرسول ﷺ: «علّقوا السوط حيث يراها أهل البيت»[(٢)]، ثم الإشارة بها والتهديد باستخدامها عند

---

(١) أخرجه أحمد: رقم ٧٦٤٥ بإسناد صحيح، وأخرجه البخاري: كتاب الحدود، رقم٦٢٧٩ بدون قوله: «ولكن قولوا رحمك الله».

(٢) مصنف عبد الرزاق: ٩/ ٤٤٧.

تكرر الخطأ، ثم الضرب الخفيف الذي يمكن أن يسبب ألماً لكنه لا يضر، ولا ينبغي له أن يضرب كيفما اتفق في أي مكان من جسد الصبي، فإن ذلك يدل على هياج المربي وعدم اتزانه، مما ينذر بعواقب سيئة قد تترتب عليها كارثة للصبي، بل عليه أن يتريث ويختار المكان الذي يضرب فيه، فلا يضرب على العظام أو الأماكن الحساسة، ولا يكرر الضرب على مكان واحد، ولا يرفع يده عند الضرب حتىٰ يرىٰ بياض إبطه، بل تكون عضده مضمومة إلىٰ جنبه، ولا يستخدم في ذلك عصاً غليظة، أو حديدة، أو نحو ذلك.

قال ابن خلدون: «وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: (لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه علىٰ ثلاثة أسواط شيئاً)، ومن كلام عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله» حرصاً علىٰ صون النفوس عن مذلة التأديب، وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له، فإنه أعلم بمصلحته»(١).

● **عدم الاستهزاء أو السخرية عند العقوبة:**

ولا يمتنع أن يستخدم المربي بعض الألفاظ التي تعد من قبيل السب لكنها لا تجرِّح، وليس فيها استهزاء أو سخرية، وإنما من قبيل مكافأة الصبي بجنس عمله، وهو نوع من التربية أيضاً، فإذا لم يُوفِّ الصبي وقيل له: يا غُدَر، دلالة علىٰ غدره وعدم وفائه، لم يكن هذا من قبيل السب المقذع، وإنما كان سبّاً من جنس عمله، يبين له فساد مسلكه، ويحمله علىٰ عدم تكرار فعله مرة أخرىٰ، من غير أن تكون تلك الألفاظ هادمة لشخصه، قال عبد الله بن بسر المازني ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «بعثتني أمي بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه (للرسول ﷺ) فلما جئت به، أخذ بأذني وقال: يا غدر»(٢)، وهو بلا شك تصرف غير صحيح من الصبي، فكان في الأخذ بأذنه مع هذه الكلمة تربية له، وحمل علىٰ عدم تكرير ذلك مرة أخرىٰ، والشيء نفسه حصل مع النعمان ابن بشير ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قال: «أُهدي لرسول الله ﷺ عنب من الطائف فأعطاني عنقوداً، وقال: اذهب به إلىٰ أمك، فأكلته في الطريق، فقال: ما فعل

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٨.
(٢) تهذيب الكمال: ١٧/ ٢٨١، وقد كان عبد الله بن بسر صبياً صغيراً عندما فعل ذلك.

العنقود؟ فقلت: أكلته، فسماني غُدَر»(١)، والنعمان كان - أيضاً - صبياً؛ إذ هو أول مولود من الأنصار ولد بالمدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ.

● **إذا اعتصم أو استعاذ بمعاذ فأعذه:**

عند العقوبة قد يحدث أن يلجأ الصبي إلىٰ ما يظنه حماية له فيعتصم به، فيلجأ إلىٰ أبيه إذا كانت المعاقبة أمه، وقد يلجأ إلىٰ أمه إذا كان المعاقب أباه، أو يلجأ لأحد الأقارب، فلا ينبغي لمن أراد العقوبة أن يستهين بمن لجأ إليه الصبي، ويصر علىٰ معاقبته وكأن شيئاً لم يحدث، فإن هذا مما يقلل من مكانة من لجأ إليه عنده، بل يبين له في هذه الحالة أنه مستحق للعقوبة، ولولا اعتصامه بمن اعتصم به لعوقب أو لكان له معه شأن آخر.

وقد يمسك الصبي بالمصحف كنوع من الاعتصام به، لعلمه بمكانة المصحف عند أبويه، لما رآه من تعظيمهما له ومن القراءة فيه، فلا ينبغي للمربي أن يندفع في غضبه ويعاقبه، بل عليه أن يقدر هذا الاتجاه، ويعظم في نفس الصبي مكانة القرآن الكريم، وأنه لجأ إلىٰ حصن حصين، ولولا ذلك لعاقبه، فإن كان ولا بد من المعاقبة فلا يفعل ذلك إلا بعد أن يأمره بترك المصحف ووضعه في مكانه، أو يقول له: سأحاسبك علىٰ ما فعلت ولكن بعد تركك للمصحف، وسوف ألتمس وقتاً تكون فيه بعيداً عنه.

وقد يستعيذ الصبي بالله فعلىٰ المربي أن يكف عنه امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «من سألكم بالله فأعطوه، ومن استعاذكم بالله فأعيذوه . . .» الحديث(٢)، وقد يحدث أن يلجأ الصبي - أيضاً - إلىٰ الصلاة لعلمه بحرمتها، فعلىٰ المربي أن يسلك في ذلك ما سلكه في حالة المصحف، ومن الأخطاء الشنيعة أن ينفعل المربي فيقوم بسحبه من الصلاة وإخراجه منها ومعاقبته، فإن مثل هذا يضعف مكانة العبادات في نفس الصبي، والحقيقة أن هذا المسلك من الصبي فيه فائدة كبيرة، إذ ربما لو عاقبه المربي في فورة غضبه لألحق به ضرراً بالغاً، بينما في هذه الحالة لا يعاقبه إلا بعد مرور فترة تكون فيها فورة الغضب قد ذهبت.

---

(١) تهذيب الكمال: ١٧/ ٢٨١.

(٢) أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢/ ٧٣)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

● **التفرقة بين ما كان سببه الجهل أو العمد :**

وعند اختيار العقوبة على الفعل أو القول المخالف ، فلا بد من التفرقة بين ما كان سببه الجهل وبين ما كان سببه تعمد المخالفة ، إذ هما لا يستويان في الميزان ، والجهل علاجه في التعليم وليس في المعاقبة .

وإذا كان الأصل أنه لا عقوبة على القول أو الفعل المخالف الحادث نتيجة الجهل ، فإن هذا لا يمنع من نهيه وكفّه عن ذلك بالطريق المناسب ، فعندما تكلم الرجل في الصلاة وهو يجهل ذلك الحكم ، وكان رجلاً ولم يكن صبياً ، فما كان موقف الرسول ﷺ منه إلا أنه علمه فقال : «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» ، ويعلّق الصحابي على تصرف الرسول ﷺ معه فيقول : «فلما صلى رسول الله ﷺ - فبأبي هو وأمي - ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني»(١) .

● **التفرقة بين ترك المأمور وفعل المحظور :**

كما ينبغي - أيضاً - التفريق بين تَرْك ما ينبغي ، وبين الإقدام على ما لا ينبغي ، والثاني أشد ، فإن الرسول ﷺ قال : « . . . فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(٢) ، فقيّد المطلوب فعله بالاستطاعة ، بينما أطلق في المنهي عنه ، وكذلك مراعاة جهة الخطأ ، فإن الخطأ في الجهة الدينية يتشدد فيه ما لا يتشدد في الجهة الدنيوية ، وقد قال أنس - رضي الله تعالى عنه - : «خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي : أف ، ولا : لم صنعت؟ ولا : ألا صنعت؟»(٣) ، فلم يراجعه الرسول ﷺ في شيء مما يتعلق بأمور الدنيا ، فلا بد أن يدرك الصبي من تعامل المربي معه الفرق بين الخطأ في أمور الدين أو السلوك والأخلاق ، والخطأ فيما يتعلق بأمور أو شؤون الحياة .

(١) أخرجه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، رقم ٨٣٦ ، كهرني : انتهرني ، والكهر بمعنى القهر .
(٢) أخرجه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، رقم ٦٧٤٤ ، ومسلم : كتاب الفضائل ، رقم ٤٣٤٨ .
(٣) أخرجه البخاري : كتاب الأدب ، رقم ٥٥٧٨ ، ومسلم : كتاب الفضائل ، رقم ٤٢٧٢ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الأمور الخاطئة إذا بدأ الصبي في عملها فقد يكون من الحكمة تركه يكملها حتىٰ ينتهي منها؛ لأن منعه من الإكمال فساده أكثر، كمثال صبي يبول في المسجد، فلو ذهبت تنهره فربما جرىٰ خوفاً منك فلوّث كثيراً من بقع المسجد، بينما لو تركته يكمل من غير تخويف له، ثم أخرجته بعد ذلك من طريق قصير، لأمكن الحفاظ علىٰ طهارته وطهارة المسجد، ويُبين له حرمة المسجد، وأنه تنبغي المحافظة علىٰ نظافته وطهارته أكثر من الحفاظ علىٰ أثاث البيت؛ لأن المساجد بيوت مخصصة لذكر الله ـ تعالىٰ ـ والصلاة فيها، ثم تطهر بعد ذلك البقعة التي بال فيها، وفي ذلك حديث معروف وهو بول الأعرابي في المسجد، فلما كان ذلك منه بجهل وعدم علم، لم يعاقبه الرسول ﷺ بل علمه، وكذلك لم يقطع عليه بوله، ثم أمر بإهراق الماء علىٰ البول حتىٰ يطهر المكان.

وإذا أراد المربي أن يعلم هل منهجه في المعاقبة: منهج سليم أم خاطئ، فليسأل نفسه سؤالاً: هل إذا أخطأ ابنه وتصرف تصرفاً خاطئاً هل يأتي إليه ويستشيره في كيفية الخروج من هذا الأمر، أم يخفيه عنه خوفاً من عقابه له؟ فإن كان الولد لا يمتنع عن المجيء إلىٰ مربيه بل يبادر ليدلّه علىٰ المخرج من ذلك، فمنهجه في استعمال العقاب منهج سليم، وإن كان يخشىٰ منه ولا يفاتحه في ذلك، بل يبحث عن غيره، ويجتهد في إخفائه عنه، فمنهجه في العقوبة غير صحيح.

- **الاتزان في العقوبة:**

ونود أن نشير في هذا الخصوص أن عدم الاتزان في العقوبة، أو التجاوز في رد الفعل علىٰ الخطأ أو المخالفة، قد يورث المربي الذي يسعىٰ للتربية والأدب حسرة وندامة، بسبب ما جناه علىٰ الصبي من إصابات وعاهات قد تستمر مع الصبي بقية حياته.

المبحث الخامس
التوجيهات والنصائح

إضافة إلىٰ التوجيهات والنصائح التي تقدمت في الفصل السابق مع مراعاة الفرق بين المراحل :

● **اتخاذ مربٍّ للولد :**

تربية الأولاد من الأمور المهمة عند أوليائهم ، وقد لا تسمح أحوالهم بالتفرغ للتربية ، فإنه ينبغي لمن كانت عنده المقدرة المادية أن يتخذ مربياً ومؤدباً لأولاده ، ولا يتركهم هملاً ، وقد كان المسلمون فيما سبق يتخذون المربين أو المؤدبين لأولادهم ، ويوصونهم بوصايا هامة في التربية ، وهذا أمر كثير فاش عندهم ، فمن ذلك ما ذكره ابن خلدون قال : (ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده ، قال خلف الأحمر : بعث إليَّ الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين ، فقال : يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، و ثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، و طاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرّفه الأخبار ، ورّوه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، و خذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، و قومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة)(١) .

وقال عتبة ابن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب أولاده : (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بَنِيٍّ إصلاح نفسك ، فإنّ أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٨

ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلىٰ غيره حتىٰ يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم، وتَهدَّدْهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء، وجنّبهم محادثة النساء، ورَوِّهم سير الحكماء، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك، وإياك أن تتكل علىٰ عذر مني لك، فقد اتكلت علىٰ كفاية منك، وزدْ في تأديبهم أزدك في برِّي إن شاء الله تعالىٰ)(١).

وهي وصايا عظيمة في تأديب الأولاد وتربيتهم، ينبغي لكل مربٍّ أن يستفيد منها.

● **التقيد بالأدب النبوي:**

هناك أدب نبوي ورد في حق هذه المرحلة وهو ما تقدم من حديثه ﷺ: «علّموا أولادكم الصلاة. . .» الحديث، فأمر ﷺ بتعليمهم الصلاة وهم أبناء سبع، فيعلمهم الصلاة عند السن المشار إليها (أمراً)، أو قبلها (ندباً) إن كان يعقل ذلك، فيعلمهم كيفية الوضوء، ويذكر لهم مبطلاته، كما يعلمهم الصلوات وأعداد الركعات في كل صلاة، وكيفيتها ووقتها، ويدلهم علىٰ مبطلاتها، ويحفظهم من أذكارها وأدعيتها ما يسهل عليهم حفظه، ويحضهم علىٰ صلاة الجماعة، وحضور خطبة الجمعة، وصلاة التراويح وصلاة العيدين، ويصطحبهم معه إلىٰ المسجد تعويداً لهم علىٰ ذلك، وعليه أن يشتد في هذا الأمر مع بلوغ الصبي سن العاشرة ولا يتساهل فيه، حتىٰ إنه يضرب منْ يتقاعس عنها بعد ذلك تأديباً وزجراً، لكن مع مراعاة ما تقدم في كيفية العقاب.

كما أمر ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع، بأن يكون كل واحد في فراش خاص به، وإن كان في البيت متسع يجعل للبنين غرفة وللبنات غرفة، ويكون كل واحد في فراش خاص به أيضاً، وهذا الأمر بالتفريق في المضاجع هو نوع

(١) جمهرة خطب العرب: ٢/ ٢٢٤ـ٢٢٥.

من التربية الوقائية التي تقي من شرور هذا الاختلاط، وفيه من الإشارة على أن الصبي أو الصبية ربما أدركهما البلوغ في هذه السن من غير تنبّه له، فيحدث من جراء الاختلاط في المضجع شر مستطير، وقانا الله والمسلمين شر ذلك.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذه المرحلة ألا تظهر البنت أمام إخوانها بملابس ضيقة كلبس البنطال مثلاً، أو تعرية الذراع والكتفين، أو إظهار الفخذين أو الساقين، وما شابه ذلك، ويُعَلَّم الصبية في هذا السن غض البصر وعدم النظر إلى عورات الآخرين أو لمسها.

● **التدريب على إصلاح النفس:**

ورد الحديث كثيراً عن النفس في النصوص الشرعية، فقال الله ـ تعالى ـ عن النفس: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [**الشمس**: ٩ – ١٠]، وقال: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾ [**النازعات**: ٤٠ – ٤١]، مما يبين أهمية العناية بالنفس، فينفي عنها عيوبها، ويحاول تزكيتها بالأقوال والأفعال، ولا ينبغي للمربي أن ينتظر بالصبي حتى يبلغ ثم يبدأ في تزكية نفسه وتنقيتها من عيوبها، بل يبدأ معه في ذلك مع بداية سن التمييز، ويبين له أن الله مطلع عليه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأن الملائكة الكرام يكتبون له كل شيء عمله من أمر الخير أو الشر، فيدعوه إلى فعل الخير، وترك الشر ومراقبة نفسه، ويبين له كيف أن الرسول ﷺ وصى ابن عمه عبد الله بن عباس بمراقبة الله وحفظه في أمره ونهيه، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك . . .»[1] الحديث، ووعده على هذه المراقبة أن الله يحفظه في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي الآخرة من أنواع العقاب والدركات، وأنه إذا راعى حق الله ـ تعالى ـ وتحرّى رضاه كان الله معه ولم يتخلّ عنه، فالتبكير في التدريب على

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم ٢٤٤٠، وقال: حديث حسن صحيح.

إصلاح النفس وتزكيتها مع التوازن فيه، يُعوِّد الصبي على مراقبة ربه، ومحاسبة نفسه(١)، فيكون لذلك الأثر الحميد فيما يتلوه من الأيام.

● **الحفظ من القرآن:**

القرآن الكريم هو كلام الله العلي الخبير، فيه فلاح الأمم وسعادتها في الدنيا والآخرة، وقد أولاه المسلمون قديماً وحديثاً ما يليق بمكانته، وليس للأمة من عزٍّ ترجوه إلا باتباع كلام ربها، وسنة نبيها ﷺ، لذا ينبغي علينا أن نجتهد في حفظه وتحفيظه أولادنا، وتشير الدراسات الحديثة إلى أن للصبيان قدرة كبيرة على الحفظ في تلك السن(٢)، وهذا يعني أن يستفيد المربون من تلك المقدرة على الجدية في تحفيظ الصبيان القرآن الكريم، وفي إلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن المنتشرة في أغلب بلاد المسلمين، و ليس على الصبي أكثر من أن يردد القدر الذي يراد حفظه عدة مرات، حتى يكون له حافظاً بإذن الله تعالى(٣)، وهذا يؤيده القول المشتهر: التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر، وهناك الكثيرون قديماً وحديثاً ممن حفظ القرآن وهو صغير في مرحلة الصبا، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: «سلوني عن التفسير، فإني حفظت القرآن وأنا صغير»(٤)، وبوّب البخاري في صحيحه: باب: تعليم الصبيان القرآن.

وبحفظ الصبي للقرآن يرتفع قدره وإن كان صغيراً، حتى إنه ليتقدم في الصلاة فيؤم الشيوخ الكبار إن كان أكثر منهم حفظاً، لما قال الرسول ﷺ للمسلمين: «ليؤمكم أكثركم قرآناً». يقول عمرو بن سلمة عن قومه: «فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين»(٥).

(١) انظر: مشروع برنامج تربوي إسلامي لإصلاح النفس، لـ: د/ عبد الحي الفرماوي.
(٢) انظر: علم نفس النمو، لـ: د/ هشام محمد مخيمر ص ١٣٢.
(٣) انظر: علم نفس المراحل العمرية، لـ: أ. د/ عمر المفدى ص ٢٧٥.
(٤) فتح الباري: ٩ / ٨٤، قال ابن حجر: أخرجه ابن سعد وغيره، بإسناد صحيح.
(٥) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، رقم ٢٩٦٣.

● **إتاحة الفرصة المناسبة للعب المفيد:**

حِرص المربي على أوقات الصبي ألا تضيع بغير فائدة أمر مطلوب، لكن لا ينبغي المبالغة في ذلك حتى يحرم الصبي من أي لون من ألوان اللعب، الذي يدخل السرور على النفس وينشطها، واللعب إذا حدث بهذه الطريقة فليس هو من ضياع الأوقات فيما لا يفيد، بل هو من المحافظة عليها؛ لأنه يجم النفس ويعطيها نشاطها، ولذلك فإن الرسول ﷺ لم يمنع الصبيان من هذا النوع من اللعب لما رآهم يلعبون؛ لما في المنع من ذلك من آثار سيئة على انبساط النفس ونشاطها، يقول أنس -رضي الله تعالى عنه-: «مرّ بي النبي ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان، فسلّم علينا، ثم دعاني فبعثني إلى حاجة له . . » الحديث[1]، فالرسول ﷺ رآهم يلعبون فلم ينههم أو يعنّفهم؛ لعلمه ﷺ بأهمية اللعب عند الصبيان في هذه المرحلة، بل سلّم عليهم زيادة منه في مؤانستهم، ويقول الغزالي -رحمه الله تعالى-: (وينبغي أن يؤذن له (أي الصبي) بعد الانصراف من الكُتّاب[2] أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً، يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً)[3].

● **قبول المبادرات من الصبي وتنميتها عن طريق الثناء والتشجيع:**

يراد بالمبادرة أحد أمرين، الأول: الاستباق إلى الأمور المطلوبة في أول وقتها وعدم التأخير، وينبغي تعويد الصبيان على ذلك وحثّهم عليه مع التشجيع بالثناء ونحوه، كالمبادرة إلى الصلاة في أول وقتها، أو المبادرة إلى استذكار الدروس والإجابة على التدريبات، وفائدة ذلك تظهر كثيراً عند ظهور ما يعوق أو يؤخر تحقيق المطلوب، فإذا حدث تأخير في حالة المبادرة يكون هناك متسع من الوقت

(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم٤٥٣٣، وأحمد: رقم ١٣١٦١، واللفظ له.
(٢) الكُتّاب هو المكان الذي كان يتعلم فيه الصبيان في القديم وهو بمثابة المدرسة اليوم، أو حلقة التحفيظ.
(٣) إحياء علوم الدين: ٣/ ٧٣.

لتحقيق المراد، بعكس تأخير الأمور إلىٰ أواخر وقتها، فإذا حدث طارئ يؤخر العمل فعندها لا يكون هناك مجال لتدارك أثر المعوقات، وتفوت المصلحة المبتغاة أو تحدث مفسدة جراء ذلك، لذلك ينبغي حث الصبيان علىٰ المبادرة والإعانة علىٰ ذلك، كما أن علىٰ المربي أن يكون قدوة في ذلك فتكون المبادرة منه منهجاً وطريقاً.

والثاني: يراد بالمبادرة الاستباق إلىٰ اتخاذ تصرف إزاء موقف حادث من تلقاء نفس الصبي، أي دون أن يطلب أحد منه ذلك، كالمبادرة في العطف علىٰ محتاج أو مساعدة مسكين، أو المبادرة إلىٰ إغلاق جهاز الحاسب ـ إذا كان يحسن ذلك ـ عندما ينسىٰ أهله إغلاقه، ونحو ذلك من الأمور، فهذه المبادرات ينبغي قبولها والتشجيع عليها لأنها تعمل علىٰ سرعة إنضاج الصبي، وتزيد من تفاعله مع بيئته ومجتمعه، وهذه المبادرات تكون سبباً في تقدم المجتمعات وتطورها، كما أنها قد تعرّضه لدعوة صالحة من رجل صالح يناله بسببها خير كثير، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قال: «كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعتُ لرسول الله ﷺ طهوراً، فقال: من وضع هذا؟ قالت ميمونة: عبد الله، فقال ﷺ: اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل»[1]، فعبد الله بن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ سبق إلىٰ وضع ماء لوضوء الرسول ﷺ من غير أن يطلب ذلك منه أحد، لكنْ لعلمه أن الرسول ﷺ يقوم الليل بادر إلىٰ وضع الماء حتىٰ يتوضأ منه الرسول ﷺ عندما يستيقظ، فكان هذا سبباً في أن يتعرض لتلك الدعوة التي ظهر أثرها عليه، وصار حبر الأمة وترجمان القرآن.

وهناك مبادرة أخرىٰ من ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ فقد بات عند خالته ميمونة بنت الحارث (وسياق الحديث يبين أنها قصة غير القصة الأولىٰ) لينظر كيف صلاة رسول الله ﷺ في الليل، فلما قام رسول الله ﷺ لصلاة قيام الليل قام مثله، وصنع مثل ما صنع رسول الله ﷺ، وكان الرسول ﷺ يشجعه

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٥/ ٥٣١، وميمونة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ خالة ابن عباس، والطهور: الوضوء، وكان عبد الله ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ إذ ذاك صبياً لم يبلغ الحلم.

علىٰ ذلك بأن كان يضع يده الشريفة علىٰ رأسه ويأخذ بأذنه يفتلها، حتىٰ لا ينام في صلاته[١]، فقد شجعه الرسول ﷺ في مبادرته، ولم يحاول أن يثنه عنها بحجة صغره وعدم تحمله لذلك، بل كان يضع يده علىٰ رأسه ويفتل أذنيه ـ كما تقدم ـ مساعداً له علىٰ تنفيذ تلك المبادرة، فعندما يكون لدىٰ الصبي همة ونشاط ويبادر إلىٰ التصرف في المواقف الطارئة فينبغي أن يشجع علىٰ ذلك، ويُقَدَّر له هذا التصرف.

لكن قد يحدث أن المبادرة لا تحقق المرجو منها بل ربما أحدثت أثراً عكسياً، وهذا أمر متوقع، فما الحل حينئذ؟ من الخطأ نهر الصبي في هذه الحالة وسبّه أو عقابه؛ لأن ذلك سيضعف فاعليته أو يقضي عليها، ويقتل روح المبادرة عنده، ويحوله إلىٰ إنسان خامل لا ثقة عنده في الإقدام، لكن هذا ـ أيضاً ـ لا يمنع من توجيه الصبي وشرح الأمر له، وبيان الأمور التي أوجبت عدم تحقق النتائج المطلوبة، لتكون درساً له ينتفع به فيما يأتي من المواقف.

● **تجنب الإحباط والتثبيط:**

الثناء والإشادة أو التشجيع لها دور كبير في التأثير علىٰ عطاء الصبي، لكن كثيراً من المربين يسلكون سلوكاً غير صحيح، فعندما يشعرون أو يظنون أن الصبي قد لا يقدر أن يقوم بما عهد به إليه، أو عندما يخفق في تحقيق المطلوب، فيقولون له: أنت غبي، أو مهمل، أو كسول، أو مثلك لا يقدر أن ينجز شيئاً، أو نحو تلك الكلمات، قد يكون مراد المربي من ذلك تحريضه علىٰ العمل والإجادة، لكن هذا أسلوب خاطئ قد يدفع بالصبي في الواقع إلىٰ قريب من الحالة التي تكلم عنها المربي؛ لأن ذلك فتَّ في عضده، وأضاف إليه نقاطاً سلبية، ثم هو قد لا يحاول أو يفكر في المحاولة جراء ذلك، وهو لو حاول فربما نجح وأفلح.

(١) انظر تفاصيل ذلك: البخاري: كتاب الوضوء، رقم ١٧٧، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، رقم ١٢٧٥، وغيرهما.

ومن الأساليب التي ينبغي الحذر منها كثرة التوبيخ والتقريع والتعيير ببعض الإخفاقات السابقة التي تعرض لها الصبي، فإن ذلك سوف يفقده على المدى البعيد أو القريب الثقة في نفسه، ويجعله متردداً لا يكاد يقدم على شيء؛ خوفاً من الإخفاق، خاصة إذا كان ما يراد الإقدام عليه لا تُضمن نتائجه.

ولمعرفة تأثير المثبطات على النفس فإنها تستخدم في الدعاية المضادة، وترويج المقولات المخوفة، كقولهم: هذا الجيش لا يهزم، ومن يقدر أن يقوم له؟ وأمثال تلك الكلمات، فتوقع في النفس الهزيمة من غير خوض حروب، ولهذا نص أهل العلم على أن المثبط أو المخذل لا ينبغي إخراجه مع الجيش المقاتل في سبيل الله تعالى، فإن ضرره أكثر من فائدته، بل لا فائدة في خروجه، لذلك لا ينبغي للمربي أن يتبع الأسلوب نفسه الذي يدمر معنويات الصبي ويحطم قدراته، بل عليه أن يستبدل به سلوك التشجيع والإشادة، وأنه قادر ـ بإذن الله تعالى ـ على القيام بذلك العمل، وأنه بقليل من العزم والإصرار يتحقق المطلوب وهكذا، فإنه بمثل هذا الأسلوب يوشك أن يحقق المراد أو قريباً منه.

كما لا ينبغي في مثل هذه الحالات عقد المقارنات بين الإخوة أو بين أولاد الجيران ـ خاصة إذا كانت هناك فروق بينهم تعد مسوغاً معقولاً لهذا التفاوت ـ لأن هذا يورث العداوات والبغضاء من جانب، ومن جانب آخر قد يورث الشعور بالهزيمة والضعف أمام المتفوق، مما يسبب له ذلة وانكساراً.

وقد يشعر الصبي من تلقاء نفسه بالإحباط نظراً لتفوق أقرانه عليه، أو لإخفاقه في بعض الأشياء، فعلى المربي في هذه الحالة أن يعمد إلى بث روح النشاط في نفسه، وأن يقوم بإبراز بعض الجوانب التي يتفوق فيها هذا المحبط على أقرانه، أو بعض الجوانب التي يظهر فيها قدرته على العطاء، ولو عن طريق الافتعال، كأن يطلب منه ـ مثلاً ـ فيما بينهما من غير أن يُطلع أحداً على ذلك، قراءة موضوع ما، ثم يأتي بعد ذلك فيطلب منه قراءة الموضوع نفسه أمام

إخوانه أو أقرانه أو زملائه، فإن هذا سوف يظهره بمظهر أفضل أمامهم مما يكون مشجعاً له، ومما يساهم في كسر شعور الإحباط لديه.

لكن هناك بعض الحالات التي يريد المربي أن يوجه فيها نقداً للصبي، بسبب تقصيره الشديد - مثلاً - بغير مسوغ، أو قيامه بتصرف غير لائق به، ولا بد من إشعاره، فماذا يفعل؟ من الأفضل في هذه الحالة ألا يوجه النقد إلى شخص الصبي نفسه، بل الأولى أن يوجه النقد إلى السلوك والتصرف، كأن يقال: هذا عمل سيِّئ، أو تصرفك هذا غير جيد، أو نحو ذلك الكلام، ولا يقول له: أنت صبي سيِّئ، أو أنت إنسان غير جيد[1]، فإن النقد الموجه للشخصية في الغالب يهدم ولا يبني، بعكس النقد الموجه للمواقف أو السلوك، فإنه يربطه بالموقف مما يعني عدم القدح في الذات، وإذا تأملت غالب موقف الكفار مع رسلهم وجدته قدحاً في الذات وليس قدحاً في السلوك؛ لأن غرضهم الهدم وليس الوصول إلى الحق.

● **مراعاة تباين الأفهام (الفروق الفردية):**

استقبال الخطاب وفهم مراميه يختلف من شخص لشخص آخر وفق استعداداته وإمكاناته العقلية، ولذلك ينبغي مراعاة ذلك حتى يكون لما يلقيه المربي من أقوال وتوجيهات قبول حسن ينتفع به سامعه، وقد نبّه على هذا الأمر كثير من العلماء من لدن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - إلى يومنا هذا، فها هو ذا الشاطبي - رحمه الله تعالى - يصف من: (يتبجح بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها، أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها «بأنه» على ضد التربية المشروعة، فمثل هذا يوقع في مصائب، ومن أجلها قال علي - رضي الله تعالى عنه -: «حدثوا الناس بما يفهمون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»، وقد يصير ذلك فتنة على بعض السامعين) إلى أن يقول - رحمه الله تعالى -: (فلا يصح للعالم في التربية العلمية إلا المحافظة على هذه المعاني، وإلا لم يكن مربياً واحتاج هو إلى عالم يربيه)[2].

(١) انظر: علم نفس المراحل العمرية، لـ: أ. د/ عمر المفدى ص ٣٩٣.
(٢) الموافقات: ١/ ٨٧.

فعلىٰ المربي أن يراعي هذه المرحلة العمرية ويختار لهم من الأساليب التعبيرية والألفاظ ما يسهل فهمه، فإنه إن تحدث بأسلوب يعلو فهمه علىٰ الصبي كان فيه إضاعة للوقت، وربما جنىٰ من وراء ذلك مفسدة، قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»[(١)].

وقد يكون من المناسب في الأمور المهمة أو التي يخشىٰ عدم فهمها من الصبيان، أن يتم تفهيمها عن طريق التمثيل أو التشبيه، فقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن رجل أنه قال: «أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير أسأله (الضمير هنا يرجع إلىٰ رسول الله ﷺ) عن الصلاة الوسطىٰ، فأخذ إصبعي الصغيرة فقال: هذه الفجر، وقبض التي تليها، وقال: هذه الظهر، ثم قبض الإبهام، فقال: هذه المغرب، ثم قبض التي تليها، ثم قال: هذه العشاء، ثم قال: أي أصابعك بقيت؟ فقلت: الوسطىٰ، فقال: أي صلاة بقيت؟ قلت: العصر، قال: هي العصر»[(٢)]، فانظر كيف بيّن له الرسول ﷺ ما أراد بهذه الطريقة التي تدل علىٰ مراعاته لقدرات الصغير علىٰ الفهم، ولم يقل له مباشرة صلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر، بل سلك معه الطريق الذي يجعله هو الذي يكون مستنبطاً للجواب.

● **الاعتراف بالشخصية وعدم هضمه حقَّه بحجة أنه صبي:**

الصبي إنسان له شعوره وإحساسه، وهو يدرك من يعامله من الناس معاملة تليق بعمره، ومن يعامله كما يعامل الطفل غير المميز، لكن كثيراً من الناس لا يفطنون لذلك، ويتعاملون مع الصبي وكأنه لا أحاسيس عنده ولا شعور له، أو كأنه طفل صغير، وهذا له تأثير سلبي علىٰ الصبي من ناحية، كما يكون مدعاة له أن ينتقص من فعل ذلك معه من ناحية أخرىٰ.

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.
(٢) تفسير الطبري: ٢/ ٥٦٠.

وتقدير الصبي والاعتراف بشخصيته أدب في التربية مارسه رسول الله ﷺ، كما تدل على ذلك تلك الواقعة، فعن سهل بن سعد ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «أُتي رسول الله ﷺ بقدح فشرب، وعن يمينه غلام هو أحدث القوم، والأشياخ عن يساره، قال: يا غلام، أتأذن لي أن أعطي الأشياخ؟ فقال: ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه»(١)، فلما كانت السُّنة أن الذي على اليمين يقدم على من في اليسار، صار هذا حقاً لمن على اليمين وإن كان صغيراً، لذا احتاج الرسول ﷺ لاستئذانه مع أنه غلام والذين على اليسار أشياخ، وفي هذا تقدير للغلام واعتراف بشخصيته، وعدم التعدي على حقوقه بل يُستأذن فيها، فإن قبل فبها ونعمت، وإن رفض فلا تثريب عليه ولا يلام على ذلك، لكن من حسن الأدب أن يتخلص الصبي من ذلك بطريقة فيها ذكاء، فانظر إلى ذلك الغلام النجيب وهو يعتذر بلطف ويقول: «ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحداً يا رسول الله» (الغلام هو عبد الله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وكان إذ ذاك صبياً لم يبلغ).

● **كفّه عن الباطل:**

من المعلوم أن الصبي لم يكلف بفروع الشريعة، وأنه لو فعل ما حرمه الله ـ تعالى ـ لم يكتب ذلك في صحيفة السيئات، لكن ينبغي أن يعتني المربون بكفِّ الصبي عن الأمور الباطلة، ولا يحملهم عدم تكليفه على التهاون فيها، حتى لا يعتادها، فيضيع عمره فيها من غير فائدة يجنيها، ولا يقدر على التخلص منها بعد التكليف، فيكون ذلك سبباً في هلاكه، قال ابن القيم: «وكذلك يجب أن يتجنب الصبي ـ إذا عقل ـ مجالس اللهو والباطل، والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعزَّ على وليه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج عن حكم الطبيعة عسر جداً»(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، رقم٢١٩٣، ومسلم: كتاب الأشربة، رقم ٣٧٨٦.
(٢) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٤١.

وقد كثرت اليوم الوسائل التي عن طريقها يصل الباطل إلىٰ الصبي، فمن ذلك المجلات الماجنة، والفضائيات الفاسدة، والقصص الخرافية، والوسائط المتعددة، وإذا كان المربي يستطيع ألا يدخل هذه الأشياء البيت، لكن ينبغي التنبه إلىٰ أمر آخر، وهو أن الصبي يمكنه الوصول إلىٰ ذلك إما عن طريق زيارة صاحب أو زميل، أو الاستعارة منه وإحضار تلك الأشياء إلىٰ بيته، وهذا مما يؤكد ضرورة المتابعة، وعدم الركون إلىٰ أن الصبي لا يدرك هذه الأمور، أو أنه ولد جيد ومؤدب، وأمثال تلك الكلمات، وهو ما يعني - أيضاً - أن الأب لا بد أن يكون له مدخلٌ في اختيار من يصاحبهم ابنه.

● **الجمع بين العفو والصفح، وبين الانتصار من أهل الظلم:**

من الأخلاق الحسنة التي ينبغي تربية الأطفال عليها العفو والصفح، وقد جاءت الأدلة الكثيرة ببيان فضل ذلك، لكن لا ينبغي أن يصل الأمر في ذلك إلىٰ حد تعود النفس علىٰ قبول الظلم وعدم الانتصار من الطغيان، حتىٰ يورثها ذلك الأمر ذلة وانكساراً، فكما مدحت النصوص من صبرَ وغفرَ - كما قال - تعالىٰ -: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...** ﴾ الآية [**الشورى**: ٤٠]، وقال: ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [**الشورى**: ٤٣] - فكذلك أباحت النصوص المعاقبة بالمثل، كما قال الله - تعالىٰ -: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا...** ﴾ الآية [**الشورى**: ٤٠]، وقال: ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ** ﴾ [**الشورى**: ٤١]، وامتدحت النصوص - أيضاً - من انتصر من الباغين؛ قال الله - تعالىٰ -: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [**الشورى**: ٣٩].

فخلق العفو والصفح مطلوب، كما أن خلق الانتصار مطلوب أيضاً، ولا تستقيم الحياة بإهمال أحدهما وعدم التعويل عليه، وإذا كانت همم أغلب المربين متوجهة نحو ترسيخ معاني العفو والصفح، فإنه ينبغي - أيضاً - ترسيخ معاني الانتصار من البغاة والطغاة، خاصة أن المسلمين اليوم يتعرّضون لحملة ظالمة من أعدائهم من اليهود والنصارىٰ، وقد كان الرسول ﷺ يؤكد هذا

الخلق في المسلمين، حتىٰ مع زوجاته رضي الله تعالىٰ عنهن، فعن عائشة -رضي الله تعالىٰ عنها- قالت: «ما علمتُ حتىٰ دخلت عليَّ زينب بغير إذن وهي غضبىٰ، ثم قالت: يا رسول الله أَحسبُك إذا قَلَبَتْ بُنَيّة أبي بكر ذريعتيها؟ ثم أقبلت عليَّ فأعرضتُ عنها، حتىٰ قال النبي ﷺ: دونك فانتصري، فأقبلت عليها حتىٰ رأيتها وقد يبس ريقها في فيها ما ترد علي شيئاً، فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه»[1]، فأمرها النبي ﷺ بالانتصار لما بغت عليها زينب رضي الله تعالىٰ عنها، ولم يأمرها بالصفح والعفو، بل تهلل وجهه لما رآها أخذت حقها.

وعن أنس -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدىٰ أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتىٰ أتىٰ بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلىٰ التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»[2].

● **التعامل مع البيئة وعدم الانعزال:**

ينبغي للمربي أن يعود الصبي علىٰ التعامل مع البيئة التي يحيا فيها بطريقة صحيحة، حتىٰ لا ينشأ معزولاً أو خاملاً، أو يصير قعيد البيت لا يبرحه إلا في صحبة والده أو أخيه الأكبر، لكن مع الحكمة في ذلك وعدم ترك الحبل علىٰ الغارب كما يقال.

فيعوّد الصبي علىٰ الخروج في أوقات الأمان إلىٰ البقالة القريبة من الدار، والقيام بشراء بعض الاحتياجات للمنزل حتىٰ يتمرن علىٰ ذلك. وتعاملُ الصبي في البيع والشراء المأذون فيه من قِبَل وليّه جائز شرعاً، وينبه علىٰ آداب السير في الطريق حتىٰ لا يتعرض للحوادث، فينظر أمامه ولا ينظر خلفه إلا لحاجة،

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح، رقم ١٩٧١، وأحمد: رقم ٢٣٤٧٩، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم ٤٨٢٤.

وعند العبور يلتفت يمنة ويسرة حتىٰ لا تصدمه سيارة ، ولا ينشغل بالحديث أثناء العبور مع الصبيان الآخرين، ولا يقف في الشارع مع زملائه بل عليه تنفيذ ما طلب منه والرجوع إلىٰ منزله، وهكذا.

ولا يمنع الصبي من استقبال أحد زملاء الدراسة في بيته، والترحيب به وتقديم ما يقدم للضيف، ويعود على الذهاب لعيادة جاره أو زميل الدراسة المريض، لكن ينبغي في هذه الحالة أن يكون معه مربيه أو أخوه الكبير تحقيقاً للفائدة المرجوة منها.

وينبغي إشعار الصبي بمكانته وأن مثله يعتمد عليه، وأنه أهل للقيام بالمهام وتحمل المسؤولية، وقد مرَّ بنا عندما أرسل أبو بكر وعمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ غلاماً صغيراً لرسول الله ﷺ يستفسر عن الصلاة الوسطىٰ، وكان أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ يخدم الرسول ﷺ وهو ابن عشر سنين، وكان الرسول ﷺ يرسله في قضاء بعض المصالح، ويعتمد عليه في القيام بها، بل كان يأتمنه علىٰ بعض الأسرار، فعن ثابت عن أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: «أتىٰ علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلّم علينا فبعثني إلىٰ حاجة، فأبطأت علىٰ أمي، فلما جئت، قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثنّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت»(١).

● **مجالسة الكبار وحضور مجالس العلماء للتخلق بأخلاقهم:**

كثير من الناس لا ينظرون إلىٰ الصبيان في هذه المرحلة إلا كما ينظرون إلىٰ الأطفال غير المميزين، فيمنعونهم من مجالسة الكبار، ويحرمونهم من حضور مجالس العلم، خوفاً من عدم انضباطهم، وإذا جاء الضيف أُخرج الصبيان المميزون من المجلس وحرموا من المقابلة، وبعضهم ربما بالغ في ذلك فحبسهم في غرفة وأغلق عليهم لحين خروج الضيف، كل ذلك مبالغة في الحرص علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم ٤٥٣٣.

الهدوء، ويعدّون ذلك من الأدب، والأدب الحقيقي والتصرف الصحيح أن يمكّن المربي الصبيان من حضور هذه المجالس، فمنها يتعلمون أدب الحديث، وأدب المجالسة، وأدب الاستماع، ويسمعون من الكلام ما يستفيدون منه، وكذلك يُفعل بالجواري عند زيارة النساء، كما أن حضور هذه المجالس له تأثير حسن على نفوسهم، إذ يشعرهم بأنهم قد فارقوا مرحلة الطفولة الأولى، مما يسهم في سرعة تأهيلهم للمرحلة التي تليها، ولا يستثنى من ذلك إلا المجالس الخاصة التي لا يحسن حضورها إلا ممن هو مخصوص بها، كأن يكون في الأمر سر أو نحو ذلك، كما حدث في حديث الهجرة عندما ذهب الرسول ﷺ إلى أبي بكر في ساعة لم يكن يذهب فيها، قال له: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما هما ابنتاي - يعني عائشة وأسماء - قال: أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج. . الحديث(١).

وقد كان السلف - رضي الله تعالى عنهم - يحرصون على إحضار أولادهم إلى تلك المجالس، في نفس الوقت الذي يلتزم فيه هؤلاء بأدب الجلوس مع الكبار، فينصت الولد ويستمع ولا يتكلم ولو كان يعرف المطلوب، إلا إذا قُصد وطُلب منه الكلام، وانظر إلى سمرة بن جندب - رضي الله تعالى عنه - وهو يقول: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسنّ مني . . . »الحديث(٢)، وها هو ذا عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - يلتزم الأدب نفسه يقول: «كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال: إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم، فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت، فقال النبي ﷺ: هي النخلة»(٣)، فلما رأى عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه أصغر القوم وفي القوم أبو بكر وعمر امتنع من الكلام، رغم ما وقع في نفسه من الجواب الذي وافق كلام الرسول ﷺ.

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم ٣٧٨٤.
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، رقم ١٦٠٣.
(٣) أخرجه البخاري: كتاب العلم، رقم ٧٠، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم ٥٠٢٨.

● **تأهيل الصبي :**

الصبي في غالب بلاد المسلمين لا يكاد يعمل شيئاً غير الذهاب إلى المدرسة ـ إذا استثنينا أولاد بعض الفقراء الذين يكدحون من أجل لقمة العيش ـ وهو بذلك لا يحسن القيام بأي عمل ولو كان يسيراً، مع أن هناك كثيراً من الأعمال التي يُحتاج إليها في المنزل مما يمكن أن يقوم به الصبية لو عُلّموا وتدربوا على ذلك، ولا يعقل أن يظل الفرد مقتصراً على الدراسة إلى أن يتخرج من الجامعة بعد ما يبلغ عمره قرابة الثلاثة والعشرين عاماً، وهو بعد لا يحسن عملاً يقوم به، ويظل عالة على أبويه، فينبغي أن يحرص المربي على تأهيل الصبي، أي : جعله أهلاً للقيام بعمل ما، يفيده هو وينتفع منه المجتمع، علماً بأن جسد الصبي بدأ يقوى ويشتد مما يتمكن معه من التأهيل للقيام بالأعمال .

ويختلف هذا العمل باختلاف المجتمعات وباختلاف الأزمنة وبمتطلباتها، وقد كان السلف يعلّمون أولادهم السباحة، كما يعلّمونهم الرماية لحاجتهم إليها في الجهاد في سبيل الله، وكذلك ركوب الخيل «كتب عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى أبي عبيدة أن علّموا صبيانكم العَوْم، ومقاتلتكم الرمي، قال : فكانوا يختلفون بين الأغراض»[(١)]، وقد كان رسول الله ﷺ قد بيّن لهم ذلك حيث يقول : «كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أربع : ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة»[(٢)] وباختلاف الأزمنة تختلف الوسائل وتتعدد الحاجات، فينبغي مراعاة ذلك .

● **مداومة المتابعة :**

المربي الحقيقي لا يهمل متابعة الصبي بأي حجة كانت، بل هو يداوم المتابعة، لكن هناك أنواع من الإهمال لا يفطن الناس إليها، بل يظنونها على العكس من ذلك، وهذه تتمثل ـ عندي ـ في إلحاق الأولاد بمدارس داخلية ينقطع فيها

(١) صحيح ابن حبان : ١٣/ ٤٠٠، والأغراض جمع غرض، والغرض : هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه .
(٢) السنن الكبرى : ٥/ ٣٠٢ .

الوالدان عن أولادهما خمسة أيام أو ستة أيام في الأسبوع، ويكون فيها الأولاد مجتمعين معاً ويخضعون لإشراف المعلمين، وهذه مهما قيل عن فوائدها إلا إن عيوبها كثيرة، منها: التخلق بأخلاق المجتمع المدرسي، وهو مكون من أخلاط شتىٰ، ومنها: تكون صداقات وعلاقات مع صبيان آخرين لا يدري الوالدان عنهم شيئاً، ومنها: انقطاع متابعة الوالدين أو ضعفها مع ما يترتب علىٰ ذلك من مشكلات، ومهما قيل عن متابعة المعلمين وتوجيههم، ومع عدم التقليل من دورهم وجهدهم في ذلك، فإنه لا يغني أبداً عن دور الوالدين، ومنها: إضعاف علاقة التواصل والمحبة بين الصبي وبين الأسرة، ومنها: حرمان الصبيان من الاحتكاك والتفاعل مع بيئتهم مما يجعلهم بمثابة الغرباء عنها، ولو افترضنا أن هذه الطريقة يتحقق منها تحصيل علمي أفضل، فالتحصيل العلمي ليس هو كل شيء، وتنشئة الصبي علىٰ عين والديه أهم من ذلك بكثير، مع العلم أن كثيراً من المتفوقين في دراساتهم يأتون من خارج هذه المدارس.

● **متابعة المؤثرات الخارجية:**

في هذه المرحلة يظهر تأثير المؤثرات الخارجية، حيث يخرج الصبي إلىٰ المدرسة وإلىٰ الشارع، ويبدأ في الاحتكاك مع الآخرين، الذين من الممكن أن لا يكونوا قد تلقوا عناية في التربية، ويظهر من هنا التأثير المضاد، فتتغير السلوكيات، وتظهر أفكار جديدة خاصة في ظل عملية الاختراق الكبرىٰ التي تتعرض لها مجتمعاتنا علىٰ الأصعدة كافة، وهذا وإن كان في حاجة إلىٰ تكامل الجهود ما بين البيت والمدرسة والإعلام والمؤسسات الرسمية، فإنه لا يمكننا الانتظار حتىٰ يحدث مثل هذا التكامل، فالمربي مسؤوليته أصلية في هذا الباب، وهو علىٰ علم بما يموج في المجتمع من أفكار ورؤىٰ وتصورات، فيكون حساساً لما يظهر علىٰ الصبي من تغييرات غير مرغوب فيها، ويتفطن لذلك أشد التفطن، ويتابعها بحكمة حتىٰ يعرف مصدرها ومن أين جاءته، وعليه

أن يعالج ذلك بالطريقة المناسبة من قبل أن تتحكم هذه المؤثرات في عقلية الصبي أو سلوكه، فيصعب بعد ذلك إزالتها منه.

● **إشراك الصبي في تحمل المسؤولية:**

في هذه السن ينبغي إشراك الصبي في تحمل بعض المسؤولية، ولا ينظر إليه على أنه ما زال صغيراً، وخاصة في السنوات المتأخرة من هذه المرحلة، وإذا لم يشارك في تحمل المسؤولية وهو قد أوشك أن يبلغ مبلغ الرجال، فمتى يقوم بذلك؟

فينبغي للمربي أن يشعر الصبي بذلك، كأن يمنحه مصروف أسبوع ينفق منه على حاجياته، بدلاً من المصروف اليومي ويتابعه عن قرب، وكأن يستشيره في بعض الأمور ويستمع إليه، ويوضح له رأيه، ولا يعارضه في كل ما يقول، ويسمح له بالاختيار من بين عدة بدائل، ويعهد إليه بالقيام ببعض الأمور، ويفوضه في عمل بعض الأشياء التي يحتاج إليها المنزل ونحوه.

لكن هل يُتصور أن يقوم الصبي بذلك من أول مرة على النحو المرغوب فيه؟

لا شك أن حدوث هذا أمر بعيد، فعلى المربي أن يكون متوقعاً لبعض الخلل؛ لأن ضرورة البداية تكون هكذا، ومن لازم ذلك أن لا ينفعل المربي بهذه النتيجة ويعاقبه أو يتراجع عن مشروعه، بل يدلّه على الصواب بطريقة لا تحمل استهانة به، أو تقليلاً لجهده المبذول، ويتباحث معه في الأمور التي عوقته، ويعمل على إزالتها، ومن الحكمة في التفويض أو التوكيل أن لا يفعل ذلك في الأمور الكبيرة، والتي يكون الخطأ فيها مكلفاً، بل يبدأ أولاً بالأمور اليسيرة، حتى إذا آنس منه رشداً في التصرفات، أمكن أن يكلَ إليه الأمور الجسيمة أو العظيمة فيما بعد.

وينبغي في الأمور التي يفوضه فيها أن يعوده على اتخاذ القرار بحيث لا يرجع إليه في كل شيء، كما لا ينبغي للمربي أن يحدد للصبي كل الخطوات

التي ينبغي عليه اتباعها في تنفيذ ما عهد به إليه، بل يرشده إلىٰ ما يغلب علىٰ ظنه أن الصبي لن يتمكن منه، وأما بقية الأمور فيعطيه فيها توجيهات عريضة، حتىٰ يتعود الصبي علىٰ القدرة علىٰ اتخاذ القرارات والموازنة بين الأمور، فإن محبة المربي لرجوع الصبي إليه في كل شأن - عظيماً كان أو حقيراً -، وتقيّده التام بكل التوجيهات في مثل هذه الأمور، وعدم إعطائه بعض الصلاحيات في الاختيار، يكاد يقضي علىٰ شخصيته، وعلىٰ قدرته وثقته في نفسه في اتخاذ قرار، فيصير التفويض كأنه بلا معنىٰ أو أثر.

● **مبادرة المربي في التربية والتعليم:**

المربي عمله التربية، وهو يقوم بعملية بناء منظمة، لتنشئة من يربيه تنشئة سوية متّزنة، فلا ينتظر المربي وقوع الخلل والخطأ حتىٰ يبدأ في المعالجة، ففي الأمور الممكنة الحدوث من الصبي، أو التي تحدث من نظرائه، ينبغي علىٰ المربي أن يكون هو البادئ بالتربية والتعليم، ويختار من الأمور ما يكون مناسباً لسنِّه، فيحدثه عن علامات البلوغ قبيل سن البلوغ بقليل، أي: في الثالثة عشر أو الرابعة عشر من عمره، وكذلك الأم تحدث البنت، وكذلك كيفية التطهر من الجنابة، ولا ينبغي أن يكون الحديث في ذلك وهو (هي) بعد لم يتجاوز السنوات التسع وهكذا، والتربية بهذا المنظور يصح أن يطلق عليها تربية بنائية وهي التي تعتني بالبناء، ولذلك يلزم لها خطة وإعداد وتدرج يناسب كل مرحلة، وذلك بعكس التربية العلاجية التي تعتمد علاج الأخطاء الواقعة، فهذه تمارس عند وقوع الخطأ ولا تنتظر مرحلة معينة.

● **الإنفاق وعدم التقتير:**

من الأمور المهمة في تربية الصبي تعويده خلق الأمانة، والاعتماد علىٰ النفس، والحرص علىٰ الكرامة، ويوشك التقتير علىٰ الصبي في الإنفاق أن يذهب بكل ذلك، فعندما يرىٰ الصبي كثيراً من أقرانه وهم يشترون الحلويات

والعصائر، وهو غير قادر على الحصول على شيء من ذلك، لا بسبب افتقار والده وإنما بسبب التقتير، فقد يحاول الصبي أن يتغلب على ذلك بطريقته الخاصة، فيلجأ إلى السرقة من المنزل أو من الأصدقاء، كما يمكن أن يحل تلك المشكلة عن طريق مدِّ يده بالسؤال لزملائه مما يضعف شخصيته، ويحوله إلى تابع ذليل لمن يعطيه في أحيان كثيرة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي)[1].

كما لا ينبغي التمادي في كثرة الإنفاق فيما يكون خارجاً عن الحد المعقول؛ لأن ذلك يفسد الصبي، فعدم الإنفاق وإن كان خلقاً ذميماً، لكن يقابله في الطرف الآخر خلق لا يقل في قبحه عنه، وهو خلق التبذير والإسراف، ولذلك نهى الله ـ تعالى ـ عن كليهما في آية واحدة فقال ـ سبحانه ـ: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ [**الإسراء**: ٢٩].

● **سعة صدر المربي مع التفرغ للتربية:**

في منتصف هذه المرحلة وما بعدها تنمو عند الصبي الرغبة في المشاركة وإبداء الآراء والاقتراحات، كما توجد عنده الدوافع لمزيد من التساؤلات والاستفسارات، وقد يكون بعض المربين أوقاتهم مزدحمة وظروفهم لا تسمح لهم، فيكون الحل الأسهل لديه أن ينعزل عن التجاوب مع الصبي بحجة أنه مشغول ولا وقت لديه للبحث في مثل هذه الأمور، أو ما يظهر على هذه المقترحات من سطحية وعدم اكتمال ونحو ذلك، وهذا من الأخطاء الكبيرة، فإن الصبي ينظر إلى مربيه نظرة مملوءة بالتقدير، وأنه هو القادر على أن يحل له هذه المعضلات، فإذا صدّه عن ذلك لجأ إلى غيره يبحث عنده عما لم يجده عند مربيه، إضافة إلى ما يترتب على ذلك من قطيعة فكرية، أو ضعف التواصل الفكري بين الصبي وبين مربيه، بل ينبغي على المربي أن يتسع صدره لذلك،

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٤١.

وأن يقصر نفسه قصراً على توفير وقت من أوقاته يلبي فيه هذه الاحتياجات، إذ هي أولى من كثير مما يظن من الأمور، ولا يستعجل بل يسمع منه ويصغي إليه، ويناقشه فيما يقول ويوضح له؛ لأن ذلك هو طريق بناء الإنسان الذي يمكن أن ينفع نفسه ومجتمعه ودينه.

● **استخدام المصطلحات الشرعية:**

في المرحلة السابقة قد يكون من المقبول أن يقال للطفل: هذا أمر طيب ومناسب، لما هو عند الوالدين من الأمور المرغوب فيها، كما يقبل قول: هذا عيب أو ما شابه ذلك، لما هو مرغوب عنه، أما في هذه المرحلة فينبغي استعمال المصطلحات الشرعية، فإنها تؤهله لمرحلة الرجولة، فيقال: هذا حلال وهذا حرام، ذاك مستحب وذاك مكروه وهكذا، مع ذكر آية أو حديث يدل على ذلك؛ لربط الصبي بالشريعة، وحتى تخرج الأمور من نطاق العادات ومواضعات المجتمع، وتنتقل إلى النطاق الشرعي؛ لتكتسب قدرها ومكانتها، وحتى يكون التعظيم لشرع الله ودينه، وإعداد الصبي لمرحلة البلوغ.

لكن لا بد من الحذر من الوقوع في الكذب على الله ورسوله من قبل المربي، بأن يقول: هذا كذا وهو ليس كذلك، وإنما يدفعه إلى ذلك الرغبة في إقبال الصبي عليه، أو حجزه عنه، أو أن يتكلم بغير علم.

● **التدبر والتأمل والتعليل:**

من الأمور المهمة في تربية الصبي أن يتدرب على التأمل والتدبر، ومعرفة العلل والأسباب، حتى يقوده ذلك إلى العلم الصحيح الراسخ، فالصبي يتعامل مع الكون من حوله: مع الشمس وطلوعها المستمر من مشرقها وغروبها آخر النهار، لكنه قد لا يفطن لأن يتدبر هذا الحدث العظيم، فمن الذي يسيّرها؟ وكيف تسير؟ وأية قوة تلزم لتسييرها وضبطها هذا الضبط العجيب بحيث لا تتخلف عن سيرها أبداً؟ ومن أين جاءتها الحرارة والنور؟ وغير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى تدبر وتأمل للاستكشاف ومعرفة الأشياء وعللها، والأمور في

الكون كثيرة، ففيه البحار والأنهار والمحيطات وفيه القمر، وفيه السماء المرفوعة بغير عمد وهكذا، فتعويد الصبي على النظر في تلك الأشياء وتدبرها والبحث في أسبابها وعللها والحكمة منها، له تأثير عظيم في تكوين الشخصية التي تستطيع أن تعقل الأمور على وجهها الصحيح، وتتوصل من ذلك إلى نتائج فيها الخير والفلاح في أمر الدين والدنيا.

وهذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد سلك هذا الطريق كما قصه الله علينا في قوله: ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ [**الأنعام**: ٧٦ - ٧٨].

وقد يمكن أن يكون التدبر والتأمل في كيفية عمل جهاز من الأجهزة التي في المنزل أو التي يشاهدها الصبي، وليس الهدف من ذلك أن يتوصل الصبي إلى المعرفة الحقيقية في ذلك، وإنما أن يعمل فكره لمحاولة الوصول إلى بعض النتائج من خلال المقدمات المعلومة المتعلقة بهذا الجهاز، أو التي يزوده بها مربيه، والهدف من ذلك تدريب الصبي على التفكير السليم المتسلسل الذي يستطيع الوصول إلى نتائج من خلال مقدمات معلومة.

- **الاستقلالية وعدم التقليد:**

من الأمور التي قد يبتلى بها الصبيان وخاصة قرب نهاية هذه المرحلة ما يقع فيه الكثيرون من ضعف الشخصية واهتزازها وعدم الاعتزاز بالقيم الإسلامية، ولعل السبب في ذلك أن الصبيان في هذه الفترة المشار إليها أصبحت وسائط الاتصالات عندهم كثيرة ومتنوعة ما بين قراءة واستماع ومشاهدة واحتكاك بالمجتمع الخارجي، فيوقعهم ذلك في مجال تأثيرها الجاذب، مما يدفع بهم في النهاية إلى تقليد الكفار والفساق والمجان، في لبسهم وفي طريقة أكلهم وشربهم، وفي قصات شعورهم وفي هيئاتهم ومشياتهم، فينبغي على المربي

أن يتنبه لذلك، وأن يحذره كل الحذر، فإن الأمة لا تموت إلا إذا ضعفت شخصية أبنائها وفقدوا اعتزازهم بتراثهم فذابوا في غيرهم، ولذلك فإن أعداءنا يحرصون كثيراً على أن يجعلوا من أولادنا صورة مكررة من أولادهم، وأقبح شيء في ذلك أن يكون المربي الذي يرجى منه حمل الأولاد على الجادة، هو الذي يساعد على التقليد وعدم الاستقلالية، ويدعو إليه إما بقوله وإما بفعله، وقد نهانا ديننا عن التشبه بغيرنا فقال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»(١)، وكتب عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى عتبة بن فرقد وهم يجاهدون في أذربيجان: «وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك. . »(٢).

ومن التقليد القبيح أن يقلد الصبي البنت، أو أن تقلد البنت الصبي، وهو من الأمور التي توجب لعن صاحبها عندما يكون مكلفاً، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(٣)، والمتشبه من الرجال بالنساء يطلق عليه «مخنث»، والمتشبهة من النساء بالرجال يطلق عليها «المترجلة»، فينبغي على المربي أن يوقظ في نفس الصبي شعوره بذاته، وأنه رجل وأنه إنسان مسلم، وأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأن المسلم قدوة للبشرية كلها، وهو أفضل من كل من ليس بمسلم أياً ما كان، ويثير في نفسه الحمية لدينه، إذ كيف يكون أحفاد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ مقلدين لهؤلاء الكفار، ويقبح لهم ذلك غاية القبح، ويذكر لهم من النصوص وأقوال أهل العلم ما يعلمه في ذلك، ويبين لهم أن المرء يحشر مع من أحب، فمن أحب قوماً حشر معهم، ومن اتبع قوماً فقلّدهم فقد أحب مسلكهم الذي قلّدهم فيه، كما يبين لهم أن التقليد ضعف في الشخصية، وضعف في العقل والتفكير.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب اللباس، رقم ٣٥١٢، وأحمد: رقم ٤٨٦٨.
(٢) أخرجه مسلم: كتاب اللباس، رقم ٣٨٥٧.
(٣) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، رقم ٥٤٣٥.

الفصل الثالث

مرحلة بلوغ الحلم

المبحث الأول : الخصائص والمميزات .

المبحث الثاني : العوائق والمشكلات .

المبحث الثالث : الأساليب والوسائل .

المبحث الرابع : الثواب والعقاب .

المبحث الخامس : التوجيهات والنصائح .

الفصل الثالث
مرحلة بلوغ الحلم

هي مرحلة سن التكليف، وتعرف بالعلامات، أو ببلوغ سن الخامسة عشر، وهي تبدأ ـ تقريباً ـ في نهاية المرحلة المتوسطة وبدايات المرحلة الثانوية.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (فإذا بلغ خمس عشرة سنة عرض له حال آخر، يحصل معه الاحتلام ونبات الشعر الخشن حول القبل، وغلظ الصوت وانفراق أرنبة أنفه، والذي اعتبره الشارع من ذلك أمران: الاحتلام والإنبات)(١) . . . (فإذا تُيُقِّن بلوغه جرىٰ عليه قلم التكليف، وثبت له جميع أحكام الرجل، ثم يأخذ في بلوغ الأَشُدّ . . . وقد أحكم الزهري تحكيم اللفظة فقال: بلوغ الأشد يكون من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال إلىٰ أربعين سنة، قال: فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية، غير محصور ما بين ذلك، فبلوغ الأشد مرتبة بين البلوغ وبين الأربعين، ومعنىٰ اللفظة من الشدة وهي القوة والجلادة، والشديد الرجل القوي، فالأشد القوي)(٢)، وهي مرحلة بلوغ العقل للكمال الذي يجب به التكليف، فإن العقل هو مناطه، لكن لما كان معرفة وصول العقل للحد الذي يجب به التكليف مما لا يمكن قياسه، وأن الناس تختلف في تحديده، فقد حدَّه الشارع بعلامة واضحة لا يختلف فيها أحد، وهي بلوغ الحلم، فكان ذلك البلوغ دليلاً علىٰ بلوغ الكمال الذي يجب به التكليف.

والبالغ شخص اكتملت قواه الجسمية في قدرتها علىٰ القيام بالأعباء والتكاليف الشرعية، واكتملت آلته العقلية فهو يفهم الأدلة والحجج ويعقلها

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص٢٩١ .
(٢) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٩٧ .

وتقوم عليه بذلك الحجة، كما اكتملت انفعالاته فهو يقدر على توجيهها الوجهة الصحيحة، كما يقدر على ضبطها حتى ليكلف بنتائج ما يترتب عليه من انفلاتها، واكتملت قدرته التناسلية التي يحفظ الله بها النوع الإنساني.

هناك من ينظر إلى أن هذه المرحلة هي بداية ما يعرف بالمراهقة، والمراهقة وإن كان يمكن أخذها من الفعل العربي «رهقَ»، إلا أن من التربويين المتحدثين بلفظ «المراهقة» من يرجعونه إلى أصل لاتيني، ونظراً لإطباق أكثر التربويين على جعل بلوغ الفتى أو الفتاة الحلم هو بداية فترة المراهقة، كانت هذه الوقفة لبيان ما في ذلك الكلام من أخطاء:

■ **المراهقة:**

ورد في لغة العرب عدة معان للفظ الرَّهَق، فمن ذلك: الرَّهَقُ الكذب، الرَّهَقُ الخفة والعربدة، الرَّهَقُ: جهل في الإنسان وخِفَّة في عقله، وإنه لرَهِقٌ نَزِلٌ أي سريع إلى الشرّ سريع الحِدَّة، وإنه لرَهِقٌ فيه حدة وسفه، ورجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشر ويغشاه، و الرَّهَقُ السفه وغشيان المحارم.

كما يراد من الكلمة - أيضاً - معنى الاقتراب والدنو، فيقال رَاهَقَ الغلام فهو مُرَاهِقٌ أي قارب الاحتلام، ويقال: طلبت فلاناً حتى رهقته أي حتى دنوتُ منه[١]، ومنه حديث أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: «من يردّهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة»[٢] رهقوه: دنوا منه واقتربوا، ومن هنا يتبين أن المراهق من حيث العمر هو الذي قارب الاحتلام ولـمّا يحتلم بعد، أي: لم يبلغ.

أما من حيث الصفات التي هي الجهل والحدة والمسارعة إلى الشر ونحو ذلك، فإن الرهق يمكن أن يلحق بالإنسان في أية مرحلة عمرية، في أول العمر أو وسطه أو آخره، وهو لا يرتبط بفترة زمنية يمر بها الإنسان، ولم أجد فيما

(١) انظر في معاني الرهق: لسان العرب، مادة (رهق).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد، رقم ٣٣٤٤.

اطلعت أن هذه الصفات ترتبط بفترة زمنية محددة، ولعل هذا الملحظ هو ما دعا هذه الدراسة إلىٰ عدم التعويل علىٰ ما اشتهر في كثير من دراسات علم النفس في اعتبار المراهقة فترة زمنية يمر بها الإنسان عند بلوغه ثم تنتهي بعد ذلك بمدة، قد تمتد معه عدة من السنوات: تصل من أربع إلىٰ ست سنوات أو أكثر في رأي البعض، أو هي تختلف من عصر لعصر ومن مجتمع لمجتمع آخر، وعلىٰ هذا الرأي فالمراهقة بدايتها تكون عند البلوغ، أما نهايتها فتتمثل في النضج العقلي والانفعالي والاجتماعي، وتعتمد طول فترة المراهقة علىٰ ظروف المجتمع التي قد تمتد إلىٰ عشر سنوات(١)، وفي رأي كثير من الباحثين أن هذه الفترة تتميز بالقلق والاضطراب وعدم الاتزان، وعدم التناسق العضوي، ويذكرون لذلك شواهد كثيرة يرونها أدلة علىٰ ما يقولون، غير أن هذا الرأي لا يلقىٰ إجماعاً بين المتخصصين، مما يتبين معه أن هذه الخصائص أو التصرفات ليست لازمة من لوازم السن أو البلوغ، بل هي ألصق بالمجتمع وثقافته من لصوقها بالبلوغ، ثم إن أكثر هذه الخصائص ناتجة عن أبحاث ودراسات أغلبها قام بها علماء غربيون علىٰ مجتمعاتهم، ولا ينبغي أن نعمِّم هذه النتائج علىٰ الجنس البشري كله؛ لأن هذا يعني اختصار الإنسانية كلها في الجنس الغربي.

ولو فسرنا الاضطراب وعدم الاتزان بكون الإنسان في هذه السن يكتمل عقله، بينما هو يعيش في بيئة مشركة فيها من ألوان الضلال العقدي والفساد الأخلاقي، ما يوجد النزاع بين ما دلّه عليه العقل وبين ما هو كائن في المجتمع، لكان ذلك أصح وأولىٰ وأدقّ من ربطه بالوصول إلىٰ مرحلة البلوغ(٢)، ومما يوضح ذلك أن يقال: إن الإنسان ليس مادة جامدة بحيث يصدق عليه القانون المستنبط من التجارب من غير تأثّر ببيئة أو تقيّد بزمان، وإنما هو كائن حي له جسد وعقل وقلب وروح، وله نوازع وتطلعات، وله عقائد وتصورات، تتباين وتختلف من شخص لآخر، ومن بيئة لبيئة أخرىٰ مما يترتب عليه أن تختلف النتائج والقوانين المستنبطة من تجارب تلك البيئات، ذلك أن مما هو

(١) انظر: علم نفس النمو، لـ: د/ هشام محمد مخيمر ص ١٥٧.
(٢) انظر: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، لـ: د/ محمد السيد محمد الزعبلاوي ص ٨٤.

معروف أن شرط تكرر النتائج من التجربة نفسها، أن تجري وفق الشروط نفسها، وتحت المؤثرات نفسها، وهذا ما لم يتحقق ولن يتحقق؛ لاختلاف المجتمع المسلم عن المجتمع المشرك، لذلك فإن كثيراً من النتائج والتفسيرات التي يقدمها علم النفس الغربي لسلوك أفراده ليست بالضرورة صالحة لتفسير الظاهرة في مجتمعاتنا، بل لعل الظواهر المشار إليها لا وجود لها في مجتمعاتنا أصلاً، وما كان منها فهو بسبب ما وقعت فيه بعض مجتمعاتنا من تقليد تلك المجتمعات، ولعل في الدراسة التي أجراها أ. د/ عمر المفدىٰ ما يشير لذلك، حيث يقول عن نفسه: (لقد أجرىٰ المؤلف دراسة عن ظاهرة أزمة الهوية في المراهقة لدىٰ عينة من المراهقين، فوجد أن هناك نسبة من المراهقين يمرون بها أي يبحثون عن هوياتهم، إلا أن هذه النسبة كانت ضئيلة بالمقارنة بالمجتمع الأمريكي، وربما يعود ذلك إلىٰ أن الإسلام يساعد في تحديد هوية الفرد، وبالتالي لا تطول عملية البحث والتساؤل)[1]، وعندنا نماذج كثيرة تبين أن الفتيان أو الشباب المسلمين الذين رُبوا تربية صحيحة عقلاء أسوياء فضلاء، بل في غاية الفضل، وهذا هو النموذج الصحيح الذي ينبغي أن نؤكد عليه في المجتمع المسلم، لا النموذج القادم إلينا من وراء البحار، قال الله - تعالىٰ - عن أهل الكهف: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [**الكهف**: ١٣]، وقال عن إسماعيل - عليه السلام - بعدما بلغ السعي - وهو سعي العقل الذي تقوم به الحجة أو الاحتلام - في القصة المشهورة: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [**الصافات**: ١٠٢]، وهذا إبراهيم - عليه السلام - قال عنه قومه لما حطم أصنامهم ﴿**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**﴾ [**الأنبياء**: ٦٠]، هذا غير ما ورد في السنة أو التاريخ الإسلامي وهو كثير.

---

(١) علم نفس المراحل العمرية، لـ: أ. د/ عمر بن عبد الرحمن المفدىٰ ص ٣٤٨-٣٤٩.

ولو قيل: إن تعريف المراهقة بذلك اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح، فيقال: ليس من شك أنه لا مشاحة في الاصطلاح، غير أن الاصطلاح الذي يكون على خلاف الحقائق لا يجوز قبوله أو إقراره، وإذا كان علماء النفس متفقين أو أكثرهم على أن المراهقة تبدأ ببلوغ الإنسان، فإن هذا مما لا يمكن قبوله، إذ جعلت الشريعة البلوغ علامة على التكليف ولزوم الشرائع، وكيف يبدأ التكليف مع بداية الاضطراب وعدم الاتزان والقلق، واليأس، وحدة الانفعالات ونحو ذلك، وهي كلها مسوغات للتخفيف وليس التكليف؟ ثم إن لفظ المراهق قد تعلقت به أحكام شرعية، مثل: هل يصلح المراهق مَحْرَمَاً أم لا؟ وهل يجوز له الخلوة بالمرأة الأجنبية أم لا؟ وهل يجوز له رؤية زينتها أم لا؟ وهل إذا حج حسبت له حجة الإسلام أم لا؟ وهل إذا شرب الخمر يقام عليه الحد أم لا؟ وهل إذا سرق تقطع يده أم لا؟ وهل إذا أولج في امرأة هل يُقام عليه الحد أم لا؟ وهل يقام الحد على المرأة التي أولج فيها المراهق أم لا؟ وإذا كانت المرأة متزوجة هل ترجم أم لا؟وغير ذلك من المسائل الفقهية العديدة التي بنى الفقهاء جوابهم فيها على مقتضى لغة العرب، وهو أن المراهق هو من لم يبلغ الحلم، أي: هو الصبي في آخر مرحلة الصبا، بينما المراهق في علم النفس هو من بلغ، وهو بالبلوغ مكلف شرعاً، وهذا لا شك سوف يؤدي إلى الاضطراب الشديد في الأحكام الفقهية.

ومن الناحية الاجتماعية يكون النظر إلى البالغ على أنه مراهق مدعاة لتأخير سن النضج في نظر المجتمع للفتيان والفتيات، ويهون من أخطائهم، ويلتمس لهم الأعذار في مخالفاتهم، مع أنهم ـ شرعاً ـ مطالبون بما يطالب به كل إنسان بالغ عاقل، وأما النظرة الشرعية التي تنظر إلى البالغ على أنه بالغ مكلف وتعامله على هذا الأساس، فإنها تساعد على سرعة إنضاج الفتيان والفتيات، حيث إن المجتمع سوف يتعامل معهم على هذا الأساس.

المبحث الأول
الخصائص والمميزات

■ **البلوغ:**

كثير من الناس يظن أن المراد من ذلك هو حالة النضج الجنسي، أو اكتمال الوظائف الجنسية فقط، وليس هذا هو مناط التكليف، وإنما مناطه اكتمال آلة التفكير عنده وهو العقل، وإنما كان بلوغ الحلم هو العلامة الدالة على اكتمال العقل الذي يجب به التكليف، فلا يكلف الله ـ تعالى ـ بالتكاليف العظيمة لمجرد ظهور الشعر في مناطق معينة من الجسم، أو خشونة الصوت، أو قدرة الأعضاء التناسلية على القيام بوظائفها، وإنما كانت هذه علامات يستدل بها على ما لا يمكن رؤيته أو قياسه من اكتمال العقل الذي يجب به التكليف، رحمةً من الله بعباده وقطعاً للخلاف بينهم في ذلك.

في هذه المرحلة تتحرك مشاعر الفتى أو الفتاة نحو الجنس الآخر، وليس في هذا مشكلة إذ علامة الرجولة والأنوثة أن يوجد هذا الأمر، ولكن المشكلة تظهر عند عدم ضبط هذا الموضوع بالضابط الشرعي الذي يجعل الأمور كلها في مسارها الصحيح، والله الذي خلق الإنسان وركب فيه هذا الأمر، قد وضع له الضوابط التي تجعله خيراً لا شر فيه، ويكون وسيلة بناء المجتمع وتواصله، وعدم انقطاع النوع الإنساني، لا وسيلة إفساده وهدمه وتدميره، فعلى الأبوين والمربين أن يحرصوا على التمسك بهذه الضوابط، والحرص على التقيد بها، والتي منها: عدم الاختلاط بين الجنسين، والتزام البنات باللباس الشرعي عند الحاجة إلى الخروج، والزواج المبكر عند القدرة، واللجوء إلى ما يكسر الشهوة عند عدم القدرة على تحمل أعباء الزواج، واستخدام عبادة الصيام في تحقيق ذلك، مع الابتعاد عن مشاهدة أو قراءة ما يثير الغرائز، وصرف الطاقة فيما ينفع

وما يفيد، ومحاولة شغل أوقات الفراغ، والتعلق بهدف صحيح مطلوب الإنجاز، حتىٰ يبتعد الفتىٰ أو الفتاة فكرياً عن الانشغال بمثل ذلك، ومن قبل ومن بعد التمسك والالتزام بالأعمال الصالحة، والدعاء واللجوء إلىٰ الله تعالىٰ، والإلحاح في مسألته الحفظَ والنجاةَ مما يقرب من الفواحش والمنكرات.

■ **النضج والاكتمال**:

بانتقال الصبي إلىٰ هذه المرحلة تطرأ عليه تغيرات كثيرة سواء في جسده أو عقله وتفكيره أو في انفعالاته، تنقله عن المرحلة السابقة، وهنا لا يصح تسميته بالطفل أو الصبي، بل هو رجل، ويقال له: فتىٰ أو غلاماً لدلالته علىٰ حداثة عهده بالبلوغ، وتتنوع مجالات النضج والاكتمال عند الفتىٰ:

فالقدرة العقلية عند الصبي تنمو وتتسارع وتيرتها حتىٰ تصل عند البلوغ إلىٰ الكمال الواجب الذي تثبت به الحجة وتلزم به التكاليف، ويؤاخذ به علىٰ التقصير أو المخالفة، ويظهر لدىٰ الفتىٰ في هذه المرحلة القدرة علىٰ التفكير المجرد غير المرتبط بشيء محسوس، وكذلك الأمور المعنوية، كما يمكنه إدراك الأبعاد المتعددة أو الجوانب المختلفة للقضية الواحدة وتتسع نظرته للأمور فلا تكون أحادية الجانب، ويكون قادراً علىٰ ممارسة مهارات التفكير العليا: التحليل والتركيب والتقويم أو النقد، وكذلك الاستدلال بالحاضر علىٰ الغائب، وتجميع بعض المقدمات والنظر فيها للنفاذ والوصول إلىٰ ما يمكن ترتبه عليها من نتائج، كما يمكنه القيام بالتفكير العلمي، حيث يشعر بالمشكلة ويحاول تحديد موضوعها، ومن ثم يجمع الفروض المناسبة لتفسير هذه المشكلة، ثم يقوم باختبارها فرضاً فرضاً، إلىٰ أن يصل إلىٰ الفرض الذي يفسر المشكلة تفسيراً صحيحاً[1]، وبهذه القدرة العقلية يتمكن الفتىٰ من إدراك الحق والوصول إليه، وتأكيد الإيمان التقليدي المتلقىٰ بالتلقين في مرحلة الطفولة أو الصبا، إلىٰ إيمان يقيني متلقىٰ بالدلائل السمعية والعقلية، ولاشك أن تحقق النتائج المترتبة علىٰ القدرة العقلية يعتمد علىٰ مدىٰ

(١) انظر: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، لـ: د/ محمد السيد محمد الزعبلاوي ص ٨٠-٨١.

تدرب الفتى أو الفتاة على ذلك، فالمقصود أن هذا الاستعداد موجود لديه والقدرة على تحصيله متوافرة بإذن الله تعالى، ولا يعني هذا أن البالغين جميعهم بهذه المنزلة فعلاً، وإلا لكان جميعهم أسوياء فضلاء.

كذلك **الجسم ينمو** بسرعة لكنه نمو متزن متناسق في جميع أجزاء الجسم، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [**التين**: ٤]، وكما قال: ﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [**الانفطار**: ٧ - ٨]، لا نمواً غير متناسق أو مضطرب يترتب عليه اضطراب المزاج، أو الانفعال والثورة، أو الشعور بالتعب والإرهاق، أو التعثر أثناء المشي حتى يكون كالأخرق أو الأبله كما تذهب إلى ذلك بعض الدراسات(١)، وبهذا الجسم القوي النامي يقوى العبد ويقدر على القيام بالتكاليف الشرعية من الصلاة والصوم والجهاد.

وفي هذه الفترة **تنضج الانفعالات**، فالأحداث والوقائع التي تحدث أمام الفتى أو يسمع بها تثير انفعاله، لكن يتعدى ذلك الانفعالُ الإعجابَ وعدمَه، أو المدحَ والذمَّ، إلى انفعال يدفع إلى عمل أو تصرف فهو انفعال إيجابي، لا يكتفي فيه الفتى بدور المشاهد أو المتفرج، وبهذا الانفعال يأمر الفتى الصالح بالمعروف وينكر المنكر، ويشتد في ذلك؛ لما عنده من الهمة العالية، حتى لو عرضه ذلك إلى الخطر، فهذان غلامان من الأنصار عندما علما بسبِّ أبي جهل للرسول ﷺ انفعلا لذلك وقررا قتله على ما يقصه عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم؛ ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني

(١) انظر في حكاية ذلك والرد عليه: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، لـ: د/ محمد السيد محمد الزعبلاوي ص٤١ ـ ٥٧.

الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلىٰ أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتىٰ قتلاه، ثم انصرفا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله، سلبُه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح»(١).

وهذا عبد الملك بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ وكان عمره إذ ذاك تسعة عشر عاماً ـ لما رأىٰ أباه يروِّض الناس علىٰ اتباع السنة، وكان يريد من أبيه حملهم علىٰ ذلك حملاً، فقال لأبيه حين قدم عليه: «يا أمير المؤمنين! ألا تمضي كتاب الله وسنة نبيه، ثم والله ما أبالي أن تغلي بي وبك القدور، فقال له: يا بني إني أروض الناس رياضة الصعب، أخرج الباب من السنة فأضع الباب من الطمع، فإن نفروا للسنة سكنوا للطمع، ولو عمرت خمسين سنة لظننت أني لا أبلغ فيهم كل الذي أريد، فإن أعش أبلغ حاجتي، وإن مت فالله أعلم بنيتي»(٢).

والنضج والاكتمال يدفعان بصاحبهما إلىٰ الاستقرار والاعتدال، وقبول الحق ونبذ الباطل، لكن إذا كانت البيئة التي يعيش فيها تغلب عليها العقائد الفاسدة التي تصطدم مع دلالات العقول الصريحة، أو التناقضات بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فهنا يظهر الخلل والاضطراب والقلق، واليأس، والانفعالات الحادة غير المنطقية، ويظل ذلك فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر، ريثما يتقبل تلك التناقضات ويتعايش معها ويألفها، أو يقضي عليها ويغيرها.

وكذلك إذا لم تكن تربية الفتىٰ قد حدثت بشكل صحيح في المراحل السابقة، فقد تظهر هنا بعض المشكلات، إذ يشعر الفتىٰ بالاستقلال الفكري

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس، رقم ٢٩٠٨، ومسلم: كتاب الجهاد، رقم ٣٢٩٦، أضلع: أقوىٰ.

(٢) السنة للمروزي: ١/ ٣١، وأخرجه أحمد في الزهد: ١/ ٣٠٠.

والشخصي عن والديه وعن معلمه، ويريد نتيجة لذلك أن يستقل باختيار الأصدقاء، وكيفية قضاء وقت فراغه، كما تظهر مشاكل في عدم التسليم للمربي بما يلقيه من نصائح وتوجيهات، ويود أن يكون له رؤية خاصة به في كل ذلك، حتىٰ لو خرجت عن المألوف المشهور.

■ **التكليف**:

ببلوغ الفتىٰ هذه المرحلة يحدث فيه النمو المتعدد كما تقدم الحديث عنه، وهذا النمو ليس نمواً عبثياً إنما من أجل حكمة، وهو أن الله ـ تعالىٰ ـ قد كلف العباد بوصولهم لهذه المرحلة، فمن آمن وعمل صالحاً فله الجنان، ومن كفر فله النيران، نسأل الله ـ تعالىٰ ـ بمنّه وكرمه العفو والعافية، فكان هذا النمو لتكون الحجة قائمة علىٰ العباد ولا يكون لهم علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ حجة، كما قال: ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...**﴾ الآية [**النساء**: ١٦٥]، لهذا كان النمو الجسدي ضرورة للقدرة علىٰ القيام بالتكاليف، وكان النمو العقلي ضرورة للقدرة علىٰ عقل الحجة وتبين دلائل الرشاد ومسالك الضلال، كما كان النمو في الانفعال ضرورة ليدفع الإنسان للتمسك بالحق ونبذ الباطل، وتحمّل ما يمكن أن يلاقيه في سبيل ذلك، فلم يكن نمو الجسد لكي تنمو الأعضاء بغير تناسق وانتظام حتىٰ يفقد الفتىٰ الاتزان ويحدث الاختلال الحركي، ولم يكن نمو العقل لكي يختلف مع والديه أو معلميه، ويسفه آراء من يخالفه، كما لم يكن النضج الجنسي لكي يقوم الفتىٰ بالمهاتفات والمراسلات والمعاكسات، ولم يكن النمو الانفعالي لكي يكون عصبي المزاج، حادّاً ثائراً متبرماً، غاضباً يصطدم بغيره ويتضارب معهم.

فنمو الفتىٰ الذي أعطاه الله ـ تعالىٰ ـ له، إنما هو لتمكينه من القيام بما أوجب عليه، فإذا ترتب علىٰ النمو غير ما جُعل له فذاك له أمراض وعيوب تلتصق بنفسية من قامت به، وليست هذه العيوب والنقائص من خصائص المرحلة؛ لأن الذي خلقهم ـ سبحانه ـ لم يخلقهم لذلك، وإنما خلقهم لعبادته، كما قال ـ تعالىٰ ـ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعلى ذلك فالمربي يتعامل مع تلك الأمور التي تظهر على أنها أمراض تحتاج إلى العلاج، ولا يتعامل معها على أنها من لوازم المرحلة، كأن الفتى مجبر عليها لا اختيار له فيها.

إن الإنسان لم يأت إلى الحياة فارغاً، بل جاءها وهو مشحون بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم بعد ذلك يحدث له التغيير بفعل الوالدين أو المربين أو البيئة، فإذا مضى على فطرته ولم يغيرها شيء، فإنه يقابله الإسلام وهو يأمر بكل خير وبكل خلق حسن جميل، وينهاه عن كل شر وكل خلق سيِّئ ذميم. فإذا كان الفتى على الفطرة ورُبِّي على الإسلام، فمن أين تأتيه التصرفات التي أشير إليها من قبل؟ إنما تأتيه من بيئة غيّرت فطرته «فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[1]، أو إنه لم تتم تربيته على ما شرع الله تعالى، فيكون ما فيه عيوب ينبغي التخلص منها، ولا يكون خصيصة من خصائص المرحلة.

■ **الجرأة والإقدام وتحدي الصعاب:**

نظراً للتطورات الجسدية التي تلحق بجسم الفتى في هذه المرحلة، وما يظهر له من قدرته على التفكير، يتولد لديه شعور بالقوة والقدرة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً...** ﴾ الآية [**الروم**: ٥٤]، فينتقل من ضعف الطفولة إلى قوة الفتيان والشبيبة، وشعوره بالقوة والقدرة يدفعانه إلى الإقدام واقتحام الصعاب، بحيث لا ينظر إلى المعوقات في كثير من الأحيان، وهذا له جانبه الحسن إذا كان الفتى مقبلاً على الحق، كما أن له جانبه السيِّئ في حالة انفلات الفتى وبُعْده عن التوجه الصحيح، لذا فإن على المربي أن يكون متيقظاً لهذا الأمر، حتى يقود به إلى طريق الخير.

وقد وجدت أمثلة لذلك في كثير من العصور، وقد شارك بعض الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ في الجهاد في سبيل الله، وهم بعدُ فتيان، وكانوا حريصين على ذلك أشد الحرص، حتى إنهم ليحتالون في المشاركة فيه، فعن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، رقم١٢٧٠، ومسلم: كتاب القدر، رقم ٤٨٠٣.

سمرة بن جندب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: «أيمت أمي، وقدِمَتْ المدينة فخطبها الناس، فقالت: لا أتزوج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم، فتزوجها رجل من الأنصار، قال: فكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام، فيلحق من أدرك منهم، قال: فعرضت عاماً فألحق غلاماً وردَّني، فقلت: يا رسول الله! لقد ألحقته ورددتني ولو صارعته لصرعته، قال: فصارِعْه، فصارعته فصرعته، فألحقني»(١)، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ: «أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني»، قال نافع (راوي الحديث) «فقدمت علىٰ عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا لحدّ بين الصغير والكبير، وكتب إلىٰ عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة»(٢)، وقد ولَّى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إمرة الجيش وهو في سن الثامنة عشرة (أو العشرين)(٣)، وفي المقابل نجد كثيراً من الجرائم يقوم بها أناس ينتمون إلىٰ هذه الشريحة العمرية، فعلىٰ المربي أن يستعمل هذه الخاصية ويستفيد منها في دفع الفتىٰ لإنجاز الأمور الخيّرة الصعبة، كما يحذره من التهور والاندفاع في الأمور من غير رويّة وتبصّر.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين: ٢ / ٦٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، أيمت: صارت لا زوج لها.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، رقم ٢٤٧٠، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم ٣٤٧٣، وزاد فيه من كلام عمر بن عبد العزيز: «ومن كان دون ذلك (أي دون خمسة عشر) فاجعلوه في العيال»، وقوله: «يفرضوا له» أي: يقدروا لهم رزقاً في ديوان الجند، وكانوا يفرقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء، وهو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق علىٰ مستحقيه. (فتح الباري: ٥ / ٢٧٨).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب: ١/ ١٨٢.

المبحث الثاني
العوائق والمشكلات

إذا كانت تربية الفتىٰ في المراحل السابقة حدثت بطريقة حسنة، فإن العوائق والمشكلات السابقة يمكن أن تكون قد اختفت أو اضمحلت، لكن هنا يمكن أن تظهر مشكلة كبيرة مرتبطة بهذه المرحلة، وهي المشكلة المتعلقة ببلوغ الفتىٰ أو الفتاة الحلم، وهي لا تنشأ إلا مع عدم التربية الجيدة، أو لا تنشأ إلا بسبب فساد البيئة التي يحيا فيها الفتىٰ أو الفتاة، وقد أودع الله في الإنسان الشهوة والقدرة علىٰ الجماع وذلك لتعمير الكون وحفظ النوع الإنساني، ولو كانت هذه العملية عملية لا شهوة فيها ولا لذة يشعر بها الإنسان عند فعلها، ربما لم يقدم علىٰ الزواج ويتحمل مؤونته أحد، وهذا يؤدي في النهاية إلىٰ التهديد بانقراض النوع الإنساني، والله ـ تعالىٰ ـ لم يخلق الدنيا علىٰ هذا الوضع، لكن هذه الشهوة إذا لم تضبط بالضوابط الشرعية يمكن أن تنشأ عنها مشكلة، وهي أن يحاول الفتىٰ أو الفتاة قضاء الوطر بغير الطريق المشروع، وهذه المشكلة المتوقعة قد حلتها الشريعة بالعديد من الإجراءات النافعة المفيدة في ذلك، وعلىٰ المربين أن يستفيدوا من هذه الإجراءات ويعملوا بها؛ لأنها هي التي تعصم ـ بإذن الله تعالىٰ ـ من تلك المشكلة، فمن ذلك:

١ ـ قرار النساء في البيوت، وعدم الخروج منها إلا لحاجة مشروعة.

٢ ـ انضباط المجتمع علىٰ أمر الله ـ تعالىٰ ـ في لباس النساء عند خروجهن للحاجة المشروعة، مع مراعاة ما ينبغي عند الخروج، من التستر وعدم إظهار الزينة.

٣ ـ غض البصر فلا ينظر إلىٰ ما حرم الله ـ تعالىٰ ـ النظر إليه.

٤ ـ حفظ الفرج من أن ينكشف أو أن يرىٰ أو أن يلمس.

٥ ـ عدم الاختلاط بين الفتيان والفتيات، سواء في الطرقات أو البيوت أو المصالح.

٦ ـ منع الخلوة، أي: لا يختلي فتىً بفتاة؛ لأن الشيطان ثالثهما، فيوسوس لهما بما لا يحل ويدفعهم إلىٰ ذلك دفعاً، ويؤزهم إليه أزاً.

٧ ـ التبكير بالزواج وعدم تأخيره، ما دامت هناك قدرة علىٰ القيام بمتطلباته، مع مراعاة العوامل التي تكون سبباً في دوام العشرة وعدم انقطاعها.

٨ ـ الصيام لمن لا يستطيع الزواج.

٩ ـ البعد عن المثيرات، كالقصص والأفلام والأغاني والموسيقىٰ.

١٠ ـ تجنب الوحدة والعزلة؛ لأنها مما يسهل استيلاء الشيطان علىٰ الإنسان.

١١ ـ العناية بالرياضات المباحة لتصريف الطاقة.

١٢ ـ التكليف بالمهام وشغله بالمسؤوليات.

١٣ ـ الرفقة الصالحة التي تتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ولا تتعاون علىٰ الإثم والعدوان.

١٤ ـ العناية بالعبادات التي تجعل الإنسان يحس بقربه من الله كقيام الليل وقراءة القرآن.

١٥ ـ تقوية جانب الحياء من الله تعالىٰ.

١٦ ـ تقوية جانب المراقبة، فالله مطلع علىٰ العبد لا يخفىٰ عليه من أمره شيء.

١٧ ـ الإلحاح علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ في الدعاء، ومسألته حفظ الذرية من البنين والبنات.

فعلىٰ المربين أن يلتمسوا الوسائل التي بها يتمكنون من تحقيق تلك الإجراءات، وهي إجراءات تلقىٰ القبول في نفس الفتيان والفتيات؛ لأنها توافق الفطرة التي فطروا عليها، ولذلك فإن تأثيرها عليهم أعظم بكثير من تأثير الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وإذا لم يتمكن المربي ـ من خلال ما تقدم ـ من القضاء علىٰ هذه المشكلة، فإن الإخفاق في ذلك يرجع إلىٰ جهات ثلاث: المجتمع والمُربِّي والمُربَّىٰ، يتحمل كل منهم ما يخصه، ولذلك فإن النجاح في ذلك يتحقق بصورة فعالة

إذا كانت هذه العناصر الثلاثة تعمل في اتجاه واحد، ولو أن عنصراً من هذه العناصر الثلاثة حدث فيه ضعف أو تخاذل، فإن العنصرين الباقيين يمكنهما - بإذن الله تعالىٰ - أخذ السفينة إلىٰ بر النجاة (وإن كان علىٰ ضعف في ذلك)، لكن البلية أن يحدث التخاذل أو الضعف في عنصرين، فإن هذا يوشك أن يجرف العنصر الثالث معهما والله المستعان.

المبحث الثالث
الأساليب والوسائل

إضافة إلى ما تقدم من ذلك فيما سبق مع مراعاة الفروق بين المراحل، يمكن أن يقال:

ببلوغ الفتى هذه المرحلة صار مكلفاً، أي: إن استقامته على دين الله ـ تعالى ـ صارت عمله الذي يطالب به هو، ويتحمل هو مسؤولية التقصير فيه في المقام الأول، وهو ما يعني أن عليه أن يسعى ليحصل ما ينبغي عليه تحصيله من العلم والعمل والأدب.

فتربية الفتى حينئذ عمل مشترك بينه وبين من يربّيه: بالتعليم، وبالموعظة، وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر، وبضرب الأمثال، التي استخدمها القرآن كثيراً في إقامة الحجة على المخالفين، الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، وقد قال الله ـ تعالى ـ في هذه الأمثلة: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾ [**العنكبوت**: ٤٣]، كما يمكن الاستفادة من رغبة الفتى في الاستكشاف والاستطلاع في تربيته وتنمية معارفه، سواء باستخدام التجربة، أو القراءة والمطالعة، أو الرحلات[1]، وقد أمر الله ـ تعالى ـ المكذبين بالرحلة حتى يعلموا كيف بدأ الخلق، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**... ﴾ الآية [**العنكبوت**: ٢٠]، ونعى على الذين لم يتعظوا بما صار إليه حال المكذبين قبلهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ**... ﴾ الآية [**غافر**: ٢١]، كما أن الرحلة في طلب العلم مشهورة عند العلماء، وقد بوّبوا عليها في تصانيفهم باب: الرحلة في طلب العلم، ومن أشهر هذه الرحلات رحلة موسى ـ عليه السلام ـ، عندما رحل للقاء الخضر وكان موسى ـ عليه السلام ـ قد طلب لقياه حتى يتعلم منه، لما علم أنه على علم لا يعلمه هو.

(١) انظر: المراهقون دراسة نفسية إسلامية، لـ: أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ١١٧ ـ ١٢٤.

المبحث الرابع
الثواب والعقاب

■ **الثواب:**

الإنسان وإن بلغ مبلغ الرجال فلا ينفك عن الحاجة إلىٰ الثواب، وهناك آيات كثيرة في كتاب الله تتحدث عن الثواب للبالغين من الرجال والنساء علىٰ فعل الصالحات، فلا ينبغي أن يهمل ذلك مع الفتيان والفتيات، وخاصة في الأمور الصعبة والتي تحتاج إلىٰ همة كبيرة، ففي غزوة الخندق عندما أراد الرسول ﷺ من المسلمين الذهاب إلىٰ معسكر المشركين وإحضار خبرهم، استخدم هذا الأسلوب، وهذا ما يحدثنا به حذيفة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ فيقول: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقُرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: قُمْ يا حذيفة فائتنا بخبر القوم، فلم أجد بدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: اذهب فائتني بخبر القوم ولا تَذْعَرهم عليَّ. . »الحديث[1]، فقد كانت الليلة ليلة شديدة الرياح قاسية البرودة، وكانت تحتاج إلىٰ همة عالية وقوة، لذلك تقدم الرسول ﷺ بالثواب علىٰ هذا العمل فقال لمن يفعل ما أراد: «جعله الله معي يوم القيامة»، ولم يأمر أحداً ابتداءً بذلك، ومع رغبة الصحابة في الخير وشدة حرصهم عليه، ووعد الرسول ﷺ لهم بهذه المنزلة العظيمة، ومع ذلك لم يقم أحد حتىٰ كرر ذلك ثلاث مرات، مما يدل علىٰ الوضع الصعب لحالة الطقس في ذلك اليوم من الرياح الشديدة

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد، رقم ٣٣٤٣، قُرٌّ: برد، تذعرهم: الذَّعْر الفَزع، يريد لا تُعْلمْهُم بنَفْسك.

والبرد القاسي، هنا احتاج الرسول ﷺ أن يأمر بوصفه أمير القوم الذي تجب طاعته رغم قسوة الأوضاع، وكلّف بهذا الأمر حذيفة رضي الله تعالىٰ عنه، وكذلك فعل الرسول ﷺ في غزوة أحد عندما أحاط المشركون به وببعض أصحابه، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة. . . »(١) الحديث، وهكذا ينبغي علىٰ المربي أن يفعل في الثواب مع البالغين، وأما ما فرضه الله فرضاً فالثواب فيه ما وعد الله به عباده المتقين.

■ **العقاب**:

ببلوغ الفتىٰ هذه المرحلة صارت مخالفاته ومعاصيه مكتوبة عليه، يجازيه الله عليها في الآخرة إذا لم يحدث توبة منها، أو لم تكن له حسنات ماحية، وبعض هذه المعاصي يستوجب في الدنيا إقامة الحد، وهذه لا يكفي فيها ما يمكن أن يقوم به المربي من العقوبة، وعلىٰ ذلك فعقوبة المربي عليها ليست من وسائل التربية في هذه المرحلة، وإنما تكون التربية بإقامة الحد، لكن هناك مخالفات لا حد فيها، وهذه ينبغي علىٰ المربي أن يمنع منها إذا علم بها ولو بالعقوبة، لكن العقوبة هنا ليس المراد منها الضرب، فقد تكون بالزجر، وقد تكون بإظهار الغضب، والتخويف بعدم الرضا، وقد تكون بالهجر أو المقاطعة لمدة يوم أو يومين، حتىٰ لا يكون تركه مدعاة للتمادي، وهناك باب عظيم من أبواب العلم عن أحكام هجر أصحاب المعاصي والبدع، فليستخدمه المربي عندما يحتاج إليه ولا يهمله.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم إليها، قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبَّاً سيئاً، ما سمعته سبّه مثله قط، وقال: أُخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن»(٢)،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد، رقم ٣٣٤٤.
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، رقم ٦٦٧.

فلما عارض ابنه السنة برأيه عاقبه على ذلك، ولم يتركه بعدما سمع ذلك منه، بل عاقبه عقاباً شديداً يتناسب مع عِظَمِ الخطأ والخطيئة، وهناك من المربين من يتعاملون مع الفتيان والفتيات في العقاب في هذه المرحلة بطريقة ليست سديدة، فيقعون لذلك في أخطاء كثيرة، ومن هذه الأخطاء التي يقعون فيها:

‡ **الحرمان:**

عندما لا يستطيع المربي أن يمنعه من بعض الأمور، أو عندما لا يستجيب الفتى لتوجيهاته، فيحرمه من النفقة أو يمنعه من دخول البيت، لكن ذلك قد لا يحل المشكلة، بل يكون سبباً في تفاقمها وازديادها، فبعد أن كان الفتى يخشى ذلك سوف يعتاده، ويبدأ في البحث عن حل، وقد يكون أحد الحلول السهلة السريعة أن يبدأ رحلة الانحراف، وتبدأ الرحلة المعروفة عبر من يُطلق عليهم أصدقاء السوء، حتى يتأصل في هذا الأمر وترسخ أقدامه فيه، وفي النهاية لا يجد الأب بدّاً من محاولة استرجاعه واحتوائه، ولكن بعد ماذا؟

‡ **الدعاء عليه:**

الدعاء من الوالدين لأولادهما بكل خصال الخير مما تواردت به سنة المؤمنين على مختلف الرسالات، فهذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يقول: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي...** ﴾ الآية [**إبراهيم**: ٤٠]، وهذا زكريا ـ عليه السلام ـ يقول: ﴿ **هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً...** ﴾ الآية [**آل عمران**: ٣٨]، وقول المؤمن: ﴿ **وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...** ﴾ الآية [**الأحقاف**: ١٥]، ودعاء المؤمنين جميعهم: ﴿ **هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...** ﴾ الآية [**الفرقان**: ٧٤]. ومن أسباب سعادة الولد دعاء أبويه له، فقد جاء عن رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات**» وذكر منها دعوة الوالد(١)، لكنَّ كثيراً من الناس بدلاً من أن يستعملوا الدعاء في نفع أولادهم، إذا بهم يقلبون الأمر إذا غضبوا عليهم، أو إذا فعل الأولاد ما لا يرضيهم، فيدعون عليهم، وقد كان يمكنهم بدلاً من أن يقولوا: اللهم أهلكه أو عذبه

(١) أخرج الحديث الترمذي: كتاب الدعوات، رقم٣٣٧٠ وقال: حديث حسن، وأبو داود: كتاب الصلاة، رقم١٣١٣، وابن ماجه: كتاب الدعوات، رقم٣٨٥٢.

أو العنه، كان يمكنهم أن يقولوا: اللهم اهده، اللهم أصلحه، اللهم سدِّده، اللهم تب عليه وهكذا، فإن هذا أولى وأفضل، وفيه الخير للوالد والولد ولا مضرة فيه على أحد، بعكس الدعاء الأول، فعندما يتحقق الدعاء يعضّ الأب بنانه من الندم، ولات حين مندم، وقد حذر الرسول ﷺ من الدعاء على الأولاد لما في ذلك من البلاء الذي لا فائدة فيه، فقال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»(١).

المؤاخذة له أو تعنيفه أمام إخوانه وأخواته الصغار:

فالفتى أو الفتاة يشعران في هذا السن بمكانتهما، ويكون هذا المسلك أو الأسلوب جارحاً لهما، مما قد يوجد نوعاً من الشحناء مع المربي، وقد يدفعهما ـ هذا الأسلوب ـ في حالة تكرره إلى التمرد ومحاولة البرهنة على سلامة التصرف، وتخطئة المربي، ومن المربين من لا يكتفي بذلك بل يعنّف الفتى ويوبخه أو يسبّه أمام الغرباء، أو أمام الأقران من الزملاء والأصدقاء، غير مبالٍ بالنتائج السيئة المترتبة على ذلك.

الاحتقار وعدم التقدير:

لا يخلو أحد من الوقوع في الأخطاء المقصودة وغير المقصودة، وهناك من المربين من يريد أن يكون ابنه معصوماً، فلا يتغاضى عن الهفوة بل يحاسب حساباً شديداً على الأمر الهين، مثلما يحاسب على الأمر الكبير، ويدفعه ذلك في أحيان كثيرة إلى احتقار من يربيه، وعدم تقديره، وقد يظهر ذلك في عدة من المظاهر، منها: إظهار ذلك بالكلام، كما يكون في أحيان كثيرة بالعمل كتقديم الصغير عليه، وجعله بمنزلة الرئيس عليه، ومشاورة الصغير والاعتداد برأيه، مع إهمال الكبير وعدم الالتفات إليه، وكأنه غير موجود، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم ٥٣٢٨.

‡ **التهوين من قدر المخالفة أو المعصية:**

وإذا كان هناك من يشتط في العقوبة على المخالفة الصغيرة، فإن في الجانب المقابل هناك من يتهاون في العقوبة على المخالفة الكبيرة، وكلا الأمرين مذموم، فعندما يقع الخطأ من الفتى أو الفتاة فلا ينبغي التهوين من ذلك، أو النظر إليه على أنه أمر عادي بالنسبة لهذه المرحلة العمرية، حتى لو جاء تائباً معترفاً بخطئه باحثاً عن مخرج، فهو وإن كان في هذه الحالة لا يُؤنّب ولا يُزجر ولا يُعيّر لكونه جاء مُقرّاً معترفاً تائباً، لكن لا يهون له من فعله ولا يقلل من شأن مخالفته، حتى لا يستسهل ذلك ويعتاده، وانظر إلى ذلك الرجل الذي جامع امرأته في رمضان، وقد جاء إلى رسول الله ﷺ مستفتياً، تقول عائشة - رضي الله تعالى عنها - زوج النبي ﷺ: «أتى رجل إلى رسول الله ﷺ في المسجد في رمضان فقال: يا رسول الله! احترقت احترقت، فسأله رسول الله ﷺ ما شأنه؟ فقال: أصبت أهلي، قال: تصدّق، فقال: والله يا نبي الله ما لي شيء، وما أقدر عليه، قال: اجلس فجلس، فبينا هو على ذلك أقبل رجل يسوق حماراً عليه طعام، فقال رسول الله ﷺ: أين المحترق آنفاً؟ فقام الرجل، فقال رسول الله ﷺ: تصدّق بهذا، فقال: يا رسول الله أغيرنا؟ فوالله إنا لجياع ما لنا شيء، قال: فكلوه»(١)، فالرجل جاء تائباً مستفتياً معترفاً بجريمته، وقد دلَّ على ذلك قوله: احترقت احترقت، مما يعني إدراكه ومعرفته لخطأ ما قام به، وإذا لم يكن الرسول ﷺ عاقبه نظراً لتوبته، ولأنه أتى أمراً لا حدَّ فيه، إلا أنه لم يهون الخطأ عليه، بل قال عندما أراد أن يسأل عنه: «أين المحترق آنفاً؟» مما يبين عدم تهوينه لشأن تلك المعصية، وأن من شأنها أن تقود إلى النار التي تحرق الإنسان، وهذا ما ينبغي على المربي فعله عند وقوع الفتى أو الفتاة في هذه المعاصي التي لا حدَّ فيها، وقد بوّب عليه البخاري بقوله: «باب: من أصاب ذنباً دون الحد، فأخبر الإمام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستفتياً»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، رقم٦٣٢٢، ومسلم: واللفظ له، كتاب الصيام، رقم١٨٧٤.
(٢) صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب: من أصاب ذنباً...

ولا يعني وقوع الخطأ من الفتىٰ أو الفتاة وعدم التهاون فيه، أن يداوم المربي علىٰ تعييره بذلك، فكلما تكلم أو قال قولاً أو عمل عملاً، قيل له: أنت كذا أو كذا؛ لأن هذا المنهج يفسده ولا يصلحه، وقد قال القاري فيما نقله شارح سنن أبي داود: (التعيير وهو التوبيخ والتعييب علىٰ ذنب سبق لأحد من قديم العهد سواء علم توبته منه أم لا، وأما التعيير في حال المباشرة أو بعيده قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحد أو التعزير، فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١].

‡ **البحث عن الأخطاء والمواجهة بها وعدم تصديق أو قبول الاعتذار:**

قد يحدث أن يقع الفتىٰ أو الفتاة في خطأ، من غير أن يرىٰ ذلك أحد أو يطلع عليه، فيظل يبحث المربي وينقب لعله أن يعثر علىٰ خطأ، ثم يواجهه بذلك وهو لا يملك دليلاً غير بعض التصورات أو التوقعات التي لا تصلح دليلاً، فلا يكون لذلك من أثر سوىٰ إفساد العلاقة، وبذر بذور الشكوك وعدم الثقة، وقد قال رسول الله ﷺ: «الإمام إذا ابتغىٰ الريبة في الرعية أفسدهم»[٢].

وقد يصدر من الفتىٰ أو الفتاة ما يحتمل أن يكون خطأ، فإذا اعتذر منه بعذر يصلح أن يكون عذراً في الظاهر، فلا ينبغي للمربي أن يواجهه بقوله له: إنّك كاذب أو نحو ذلك، حتىٰ لو قامت عند المربي قرائن علىٰ أن ذلك العذر غير صحيح، فإن محاولة التخلص من ذلك دليل علىٰ إدراكه لقبح تصرفه، وقد يدفعه ذلك إلىٰ البعد عنه، أما إصرار المربي علىٰ أنه قد قال أو فعل، فقد لا يجني المربي من ورائه سوىٰ قسوة قلب المتربي؛ لأنه ما دام يظن أن أحداً لم يطلع عليه فسوف يجتهد في إخفاء ذلك الأمر وعدم المجاهرة به، وهذا سبيله - إن شاء الله تعالىٰ - إلىٰ خير، أما إذا علم أن الناس يعلمون بتصرفه ذلك فسوف

---

(١) عون المعبود: ١١/ ٩٤-٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٨/ ٥٩.

يدعوه ذلك إلىٰ المجاهرة وعدم التخفي، وذلك سبيله إلىٰ الشر في الغالب، فقد قال الرسول ﷺ: «كل أمتي معافىٰ إلا المجاهرين»(١).

وينبغي للمربي أن يتخذ من الوسائل الرقيقة التي تجعل الفتىٰ أو الفتاة يدركان أن المربي لم تنطل عليه حيلتهما، وإن كان هو في الوقت نفسه لم يواجههم بذلك، فإن هذا ربما دفع إلىٰ الإقلاع عن ذلك والاعتراف بحقيقة ما كان، وعدم العودة إلىٰ ذلك مرة أخرىٰ لمعرفته بفطنة مربيه، ولو قبل العذر قبولاً مطلقاً فربما كان في ذلك إشارة علىٰ انطلاء الحيلة عليه مما قد يشجعهم علىٰ التمادي في الخطأ، وربما لو واجههم بالإنكار والتكذيب لانقلب الأمر إلىٰ مهاترات أو إلىٰ حلف بالكذب أن هذا لم يكن كما يحدث من الكثيرين وهكذا.

ولننظر في تلك القصة لنرىٰ كيف عالجها الرسول المصطفىٰ ﷺ، فـ «عن زيد ابن أسلم أن خوات بن جبير قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ مَر الظَّهْران(٢)، قال: فخرجت من خبائي، فإذا أنا بنسوة يتحدثن فأعجبنني، فرجعت فاستخرجت عَيْبَتي(٣) فاستخرجت منها حُلَّة فلبستها، وجئت فجلست معهن، وخرج رسول الله ﷺ من قبّته، فقال: أبا عبد الله ما يجلسك معهن؟ فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته واختلطت(٤)، قلت: يا رسول الله جمل لي شرد فأنا أبتغي له قيداً، فمضىٰ واتبعته، فألقىٰ إليَّ رداءه ودخل الأراك، كأني أنظر إلىٰ بياض متنه في خضرة الأراك، فقضىٰ حاجته وتوضأ فأقبل والماء يسيل من لحيته علىٰ صدره، أو قال: يقطر من لحيته علىٰ صدره، فقال: أبا عبد الله ما فعل شراد جملك؟ ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد ذلك الجمل؟ فلما رأيت ذلك تعجلت إلىٰ المدينة، واجتنبت المسجد والمجالسة إلىٰ النبي ﷺ، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد، فأتيت

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، رقم ٥٦٠٨، ومسلم: كتاب الزهد، رقم ٥٣٠٦.
(٢) مَرّ الظهران: واد من أودية الحجاز، من قُراه: الجموم وبحرة وغير ذلك.
(٣) العيبة: ما يجعل فيه الثياب، فهي كحقيبة السفر في أيامنا هذه.
(٤) اختلط الرجل: فسد عقله، والمراد: أنه اضطرب فلم يدر ما يقول من الهيبة.

المسجد فقمت أصلي، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجأة فصلى ركعتين خفيفتين، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: طوِّل أبا عبد الله ما شئت أن تطول، فلست قائماً حتى تنصرف، فقلت في نفسي: والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره، فلما قال: السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد ذلك الجمل؟ فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم، فقال: رحمك الله ثلاثاً، ثم لم يعد لشيء مما كان»[1]، فالرسول ﷺ ظهر له من شواهد الحال أن الاعتذار غير صحيح، لكنه في الوقت نفسه لم يبادر بتكذيبه، وإنما جعل كلما لاقاه يذكره بفعلته تلك عن طريق تكرار السؤال، حتى اضطره ذلك إلى الاعتراف بما فعل، ولما حدث منه الاعتراف دعا له، ولم يعد للسؤال مرة أخرى؛ لأن التعيير بعد الاعتراف ليس من سنة الرسول ﷺ.

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٤ / ٢٠٣.

المبحث الخامس
التوجيهات والنصائح

إضافة إلى ما تقدم من التوجيهات والنصائح في الفصل السابق مع مراعاة الفروق:

■ **العناية بقلب الفتى:**

مع اكتمال النمو في الجوانب المتعددة للفتى، صارت له القدرة على الاستقبال والتعلم من خارج الحدود المعروفة كالأسرة والمسجد والمدرسة، فلا ينبغي أن يكون أهل الشر أسرع إليه بشرِّهم من أهل الخير بخيرهم، وأهم مضغة في الجسد هي القلب، فهي كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»(١)، فينبغي توجيه عنايتنا لهذا القلب عبر العديد من الأمور التي يصلح القلب من خلالها، فمن ذلك: الحضُّ على قيام الليل، فقد تربى على قيام الليل جيل الصحابة الأوائل الذين على سواعدهم قامت دولة الإسلام، وقد قال الله ـ تعالى ـ في قيام الليل: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ [**المزمل**: ٦]، قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿**هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها، من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش)(٢)، وكم يكون من الجميل أن يقوم المربي بالليل فيوقظ فتيانه وفتياته للصلاة، وبصلي بهم جماعة ما تيسر من الصلاة، ويستعين على إيقاظهم بنضح قليل من الماء عليهم كما دلت على ذلك السنة، كما يُعاد على الفتى والفتاة تقرير أمور الآخرة، من ذكر الجنة ـ جعلنا الله تعالى من أهلها ـ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، رقم٥٠، ومسلم: كتاب المساقاة، رقم٢٩٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير: تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ...**﴾ الآية.

وما أعد الله فيها للطائعين من النعيم المقيم، وبيان موجبات دخولها، وذكر النار ـ أعاذنا الله منها ـ وما أعد الله فيها للعاصين المخالفين لما شرعه لهم، ويذكر لهم قصص الأنبياء وما لاقوا في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ من الشدائد، وكيف صبروا علىٰ ما واجههم حتىٰ كان النصر لهم من الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ من ناوأهم.

■ **التمسك بالكتاب والسنة:**

صواب الكتاب والسنة قضية بدهية عند المسلمين، وكذلك بطلان ما ناقضهما أو خالفهما، وذلك يدركه علىٰ وجه الإجمال ـ بحمد الله تعالىٰ ـ أكثر المسلمين حتىٰ صبيانهم، لكن هناك أفكار ونظريات قادمة من مجتمعات غير إسلامية، تُنشر بعضها في الكتب أو وسائل الإعلام، وبعضها ربما يُدسُّ في بعض المناهج الدراسية في بعض بلاد المسلمين، فعلىٰ المربي التنبه لتلك النظريات والأفكار التي توجد في محيطه، وبيان مخالفتها للكتاب والسنة، ويستعين علىٰ ذلك بالكتيبات الصغيرة المؤلفة في ذلك والتي تبين فسادها بطريقة ميسرة.

■ **الحوار والإقناع:**

في هذه المرحلة تكون عقلية الفتىٰ أو الفتاة قد اكتملت بدلالة توجه الخطاب بالتكاليف الشرعية، وفي هذه الحالة فإن محاولة فرض اجتهادات المربي وآرائه وتصوراته من غير إقناع لن تكون مجدية، ولن يترتب عليها أية منفعة ما لم تجد قبولاً وصدىٰ عند الفتىٰ أو الفتاة، لذلك كان لا بد من اللجوء إلىٰ الحوار ومحاولة الإقناع، وإقامة الحجة بالدليل؛ لأن الفتىٰ وكذلك الفتاة قد بلغ في هذه السن المبلغ الذي يؤهله لأن يعقل الحديث ويتفهم الأمور، ويدرك الصواب والخطأ ودلائل كل منهما، وليس المطلوب في الحوار والإقناع أن يسلِّم الفتىٰ بكل ما يقوله المربي، فالأمور الاجتهادية في الآراء والأفكار والتصورات تطرح، ويبين وجهة النظر فيها من غير فرض أو إكراه، ولا ينبغي الإلزام إلا في الأمور المقطوع بها، أو التي يقول بها جمهور أهل العلم، أو جمهور العقلاء في مسائل الدنيا، ولا تكون مجرد رأي للمربي، هذا في المسائل العلمية كالاعتقادات والتصورات والأفكار.

أما المسائل العملية التي يطلب فيها عمل، فإن للمربي أن يلزم بها إذا كانت داخلة في صلاحياته، فإذا أراد الأب ـ مثلاً ـ أن ينتقل من محلة إلىٰ محلة أخرىٰ، أو من دار إلىٰ دار أخرىٰ، فإنه يعرض ذلك علىٰ أولاده ويستشيرهم فيه، لكن له أن يفعل ذلك حتىٰ لو لم يقتنع بهذا بعض فتيانه بعد مناقشته لهم.

■ **الوعظ مع بيان العلة أو الحكمة:**

قد يقتصر بعضنا في حديثه مع الفتيان علىٰ الوعظ، والوعظ أمر مهم لا بد منه، لكنه قد لا يكفي وحده، خاصة مع من يكون واقعاً في أمر هو يعلم نتائجه، كما أن ذكر الحكم الشرعي وحده في هذه الحالة قد لا يكفي، ويكون التعليل أو بيان الحكمة في هذه المواقف إضافة إلىٰ الموعظة والحكم هو النافع بإذن الله، ولنضرب المثل بذلك من هذه القصة، فقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة «أن فتىٰ شاباً أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء»(١)، فالفتىٰ ـ هنا ـ لم يكن يغيب عنه حكم حرمة الزنا ولذلك جاء يستأذن فيه، فالقول له هنا: اتق الله، هذا حرام أو لا يجوز قد لا ينفع الفتىٰ؛ لأن الحكم عنده معلوم، لكنه يحتاج إلىٰ شيء آخر، لذلك سلك الرسول ﷺ معه أسلوباً آخر، وهو بيان الحكمة من منع الزنا، وهو أن المزني بها إما أن تكون أُمّاً لأحد أو بنته أو أخته أو عمته أو خالته، لا يمكن غير ذلك، ولما كان هذا الفتىٰ لا يرضىٰ ذلك لنفسه، فكذلك الناس

---

(١) أخرجه أحمد: رقم٢١١٨٥، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

لا يرضونه لأنفسهم، فكان في هذه الحجة النفسية قطعاً لدابر هذا الأمر في نفس الفتىٰ، ثم كان الدعاء من الرسول ﷺ له أن يثبته علىٰ الحق والعفة، فهكذا نفعل في مثل هذه المواقف، ويمكن أن يقال عن هذا التصرف: كن أنت مكانه وقل لي ماذا تفعل؟ ولو أن الإنسان عمل ذلك في أمور كثيرة لانحلت إشكالات تقوم بين الناس، ولو وضع الإنسان نفسه مكان من يعترض علىٰ مسلكه وتصرفه، فربما اتخذ المسلك نفسه أو قريب منه، فلذلك ينبغي علىٰ المربي أن يرشد إلىٰ هذا الطريق.

■ **الاقتراب والمصادقة:**

في هذه السن لم يعد يشعر الفتىٰ أو الفتاة أنهما عالة علىٰ غيرهما في الأفكار والتصورات، بل يشعران بالقدرة الكبيرة علىٰ التفكير العميق الذي يستخلص النتائج من المقدمات، والذي يحلل الموضوع إلىٰ أجزائه التي تركب منها ليعرف ما وراءها، فعندما تعرض له بعض المشاكل فقد يبادر إلىٰ الحل من غير مشورة أو استضاءة بآراء من هو أكبر منه وأعلم، أو قد يستشير من ليس أهلاً للشورىٰ، لكن عندما تكون العلاقة بين الفتىٰ والمربي ـ الأبوان والمعلم ـ علاقة جيدة، فيها التقدير والاحترام، وعدم التنقص والازدراء، وفيها الحرص علىٰ الفتىٰ والرحمة له، فإنه يلجأ في هذه الحالة إلىٰ المربي يستشيره ويعرض عليه أمره، ويتقبل منه ما يدلي به من نصائح وإرشادات، لذلك كان علىٰ الأبوين والمعلم أن يحرصوا في هذه المرحلة علىٰ الاقتراب من الفتىٰ، وإيجاد قنوات الاتصال الصالحة، والتعرف عن قرب عما يمكن أن يكون في داخله.

■ **دورة في الطهارة:**

ببلوغ مرحلة الحلم يحتاج الفتىٰ والفتاة إلىٰ حديث خاص عن أحكام الطهارة التي تتعلق بكل منهما، ففي هذه المرحلة تَجِدُّ أمور لم تكن من قبل، وقد يكون من المناسب تنظيم دورة في أحد المساجد عن أحكام الطهارة للبالغين، يعطيها للفتيان أحد الشيوخ، بينما تعطيها للفتيات إحدىٰ الداعيات، فإن في ذلك إزالة للحرج، وخاصة عندما يكون الحديث موجهاً لجماعة، وليس موجهاً لشخص محدد، والحقيقة أن هذا ليس فيه حرج، وحصول هذه الدورة في

المسجد يكسب الموضوع جلالاً وهيبة، فلا يكون فيه مجال إلىٰ كلام غير مناسب أو تعليقات غير مقبولة، بل يشعر الجميع أن هذا دين؛ لأن الكلام من أحد العلماء بالدين أو طلبة العلم، وهو يقال في مكان مخصص للأعمال الصالحة كالصلاة وقراءة القرآن.

■ **الرِّفق والرحمة وعدم الإثقال في التعليم:**

رغبة المربي في الوصول بتلميذه إلىٰ الدرجة العليا قد تدفعه إلىٰ نسيان ما ينبغي عليه في ذلك، فيثقل كثيراً علىٰ التلميذ، حتىٰ يكاد التلميذ أن يملَّ من ذلك، ولكن ينبغي أن يراعي أوضاعهم حتىٰ تؤتي التربية ثمارها، وهذا رسولنا الكريم ﷺ وقد أتاه مجموعة من الشباب متقاربين في السن، فأقاموا عنده عشرين ليلة، فلما ظن أنهم قد اشتاقوا لأهلهم أمرهم بالرجوع إليهم وأوصاهم، وهذا ما يخبرنا به مالك بن الحويرث يقول: «أتينا إلىٰ النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: ارجعوا إلىٰ أهليكم فأقيموا فيهم، وعلِّموهم ومروهم، وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»(١)، فلما رأىٰ اشتياقهم إلىٰ أهليهم ردَّهم إليهم وأوصاهم، وهذا ما يبين أن علىٰ المربي أن يتعاهد تلاميذه ويعرف احتياجهم، ويرفق بهم ولا يهمل النوازع الإنسانية، فلا يتعامل معهم علىٰ أنهم ملائكة، بل هم بشر من البشر.

■ **أدخلوه في مجتمع الرجال:**

من ظهرت عليه علامات البلوغ فهو رجل، وينبغي أن يقبل في مجتمع الرجال علىٰ هذا الأساس، وأن يعامل من خلال هذه النظرة، ولا تنبغي معاملتهم علىٰ أنهم ما زالوا أطفالاً أو صبياناً، وكذلك الفتيات، إن هذا السلوك سوف يعزز دورهم كرجال أو نساء، ويسهل إدماجهم في مجتمع الكبار،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، رقم ٥٩٥.

كما يكون عوناً لهم علىٰ سرعة تجاوز مجتمعهم الصبياني السابق.

■ **الإشراك الفعلي في تحمل المسؤولية:**

في هذه المرحلة صار الصبي فتىٰ بالغاً، ولزمته التكاليف الشرعية، ما يعني اكتمال تحمُّله للمسؤولية، وترتب النتائج علىٰ التصرفات الصادرة منه، لذلك لا بد أن يقوم بدوره في تحمُّل المسؤولية، ويعوّده مربيه علىٰ ذلك، حتىٰ وإن أخطأ، فيستشيره مربيه في كثير من الأمور ويناقشه، ويعمل بقوله إن بدا فيه الصواب.

إن استشارة المربي للفتىٰ تجعله يشعر بأن له قيمة، وأنه أهل لأن يُعتمد عليه، مما يقوي إحساسه بالمسؤولية ورغبته في القيام بها وتحمُّل تبعاتها، فيجهد فكره ورأيه للوصول إلىٰ الأكثر صواباً من الأمور، وذلك بعكس إهماله وعدم النظر إلىٰ آرائه، كما أن تكرار مشاورتهم يعمل علىٰ تهيئتهم لأن يكونوا قادة يتحملون التبعات، لا إمَّعات يسيرون خلف المتقدم عليهم، والأمر في الفتاة كمثله في الفتىٰ.

وينبغي علىٰ المربي أن يستفيد منه في مصالحه، فقد يكون للمرء مصالح كثيرة وهو محتاج إلىٰ من يعاونه فيها، فإذا لم يبادر إلىٰ إشراك الفتىٰ في تحمُّل المسؤولية فقد يرهق نفسه كثيراً في القيام بتلك المصالح، أو قد يستعين بآخرين حتىٰ يساعدوه، وهذا وإن كان لا حرج فيه من جهة الاستعانة، لكنه قد يحول الأبناء في النهاية إلىٰ بطّالين غير منتجين، ويتحول دورهم إلىٰ أن يكونوا عالة علىٰ غيرهم، مما يكون له عواقب سيئة عليهم.

ومن المسؤوليات التي يجب أن يضطلع بها الفتيان في هذه المرحلة القيام بقضاء بعض مصالح الأسرة عن طريق استخدام السيارة، وهي تلاقي في نفسه إقبالاً لرغبته في قيادة السيارة، لكن لا بد من متابعة هذا الأمر بدقّة، لأن كثيراً ما يكون هذا الأمر بداية للانحراف، فلا بد من تدريبه أولاً علىٰ القيادة ولا يسمح

له بقيادتها إلا بعد أن يتمكن من ذلك فعلاً حفاظاً على حياته وحياة الآخرين، كما لا يعطى له المفتاح بصورة دائمة بل يكون المفتاح في البيت مع الوالدين، ويعطى له عند الحاجة، مع متابعة وقت الخروج ووقت الحضور، إلى أن تحدث الطمأنينة للمربي من سلامة التصرفات واستقامتها وعدم خروجها عن المألوف.

■ **مراعاة الرغبة والإقبال في التوجيه إلى العلم والمعارف والمهن:**

نظراً للحالة التعليمية في كثير من بلاد المسلمين بل في أكثرها، فإن التخصص لا يبدأ إلا في هذه المرحلة تقريباً، وكثير من المربين يحاولون توجيه أبنائهم إلى الدراسات التي يرون أنها أعلى شأناً من غيرها، أو المهن ذات المردود الأعلى، من غير نظر إلى رغبة الابن أو استعداده وقدرته، فيقسرونه على ذلك قسراً، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الإخفاق في تحقيق ما يرجونه من النتائج، وكم من والد أو مربٍّ ظل يعضُّ بنان الندم، على ما أضاع على ابنه من سنوات عمره بعدما أجبره على التخصص فيما لا يحسن أو يقدر عليه.

وينبغي ـ هنا ـ أن نقول: إن كل علم نافع أو مهنة مفيدة أيّاً كانت الدرجة التي تحتلها تحتاج إليها الأمة، وإذا تميز فيها الولد فقد يجني من ورائها أعظم مما يجني من تخصص في شيء أفضل من ذلك في نظر المجتمع إذا لم يكن له تميز فيه، فالميكانيكي المتميز ـ مثلاً ـ قد ينفع مجتمعه أحسن مما ينفع الطبيب الذي لا تميز عنده، وقد يحصل مالياً ـ أيضاً ـ أكثر مما يحصل، فلا ينبغي للمربين أن يجبروا الأولاد على الالتحاق بما لا يرغبون فيه، أو ما لا يتمكنون من تحصيله لضعف قدرتهم عليه؛ لأن ذلك يفضي إلى عكس المطلوب، بل يوجهونهم إلى ما تظهر رغبتهم فيه وقدرتهم على إجادته والتميز فيه.

لكن ينبغي ـ هنا ـ على المربي أن يكون متيقظاً للدافع الحقيقي لعدم رغبة الولد، هل هو ضعفه وعدم قدرته وصعوبة ذلك الأمر عليه، أم هو الكسل والإخلاد إلى الأرض، والرغبة في التفرغ للعب وإضاعة الأوقات فيما لا يفيد؟

ولابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ كلام نفيس في ذلك، يقول ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله علىٰ غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً، فإنه إن حمله علىٰ غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه، وفاته ما هو مهيأ له، فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً، فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم، لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً، فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه.

وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه، وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح، وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له، مكّنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها، فإنه أنفع له وللمسلمين، وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق لذلك، ورأىٰ عينه مفتوحة إلىٰ صنعة من الصنائع مستعداً لها قابلاً لها، وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكّنه منها، هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه، فإن ذلك ميسر علىٰ كل أحد لتقوم حجة الله علىٰ العبد، فإن له علىٰ عباده الحجة البالغة، كما له عليهم النعمة السابغة والله تعالىٰ أعلم)(١).

وللشاطبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ كلام مفيد في ذلك ننقله علىٰ طوله يقول: (إن الله ـ عز وجل ـ خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، ألا ترىٰ إلىٰ قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**... ﴾ الآية [**النحل**: ٧٨]، ثم وضع فيهم العلم بذلك علىٰ التدريج والتربية، تارة بالإلهام كما يلهم الطفل التقام الثدي ومصّه، وتارة بالتعليم، فطُلبُ الناس بالتعلم والتعليم لجميع ما يستجلب به المصالح، وكافة ما تدرأ به المفاسد؛ إنهاضاً لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية والمطالب الإلهامية؛ لأن ذلك كالأصل للقيام بتفاصيل المصالح، كان ذلك من قبيل الأفعال أو الأقوال أو العلوم والاعتقادات أو الآداب الشرعية أو العادية، وفي أثناء العناية

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص٢٤٣.

بذلك يقوىٰ في كل واحد من الخلق ما فطر عليه، وما ألهم له من تفاصيل الأحوال والأعمال، فيظهر فيه وعليه ويبرز فيه علىٰ أقرانه ممن لم يهيأ تلك التهيئة، فلا يأتي زمان التعقل إلا وقد نجم علىٰ ظاهره ما فطر عليه في أوليته، فترىٰ واحداً قد تهيأ لطلب العلم، وآخر لطلب الرياسة، وآخر للتصنع ببعض المهن المحتاج إليها، وآخر للصراع والنطاح إلىٰ سائر الأمور.

هذا وإن كان كل واحد قد غرز فيه التصرف الكلي فلا بد في غالب العادة من غلبة البعض عليه، فيرد التكليف عليه معلماً مؤدباً في حالته التي هو عليها، فعند ذلك ينتهض الطلب علىٰ كل مكلف في نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه، ويتعين علىٰ الناظرين فيهم الالتفات إلىٰ تلك الجهات فيراعونهم بحسبها، ويراعونها إلىٰ أن تخرج في أيديهم علىٰ الصراط المستقيم، ويعينونهم علىٰ القيام بها، ويحرضونهم علىٰ الدوام فيها، حتىٰ يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط، ثم يخلىٰ بينهم وبين أهلها فيعاملونهم بما يليق بهم، ليكونوا من أهلها إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية.

فإذا فرض - مثلاً - واحد من الصبيان ظهر عليه حسن إدراك وجودة فهم، ووفور حفظ لما يسمع، وإن كان مشاركاً في غير ذلك من الأوصاف، ميل به نحو ذلك القصد، وهذا واجب علىٰ الناظر فيه من حيث الجملة، مراعاة لما يرجىٰ فيه من القيام بمصلحة التعليم، فطُلبَ بالتعلم وأُدِّب بالآداب المشتركة بجميع العلوم، ولا بد أن يمال منها إلىٰ بعض فيؤخذ به ويعان عليه، ولكن علىٰ الترتيب الذي نص عليه ربانيّو العلماء، فإذا دخل في ذلك البعض فمال به طبعه إليه علىٰ الخصوص وأحبه أكثر من غيره، ترك وما أحب، وخص بأهله فوجب عليهم إنهاضه فيه حتىٰ يأخذ منه ما قدر له، من غير إهمال له ولا ترك لمراعاته، ثم إن وقف هنالك فحسن، وإن طلب الأخذ في غيره أو طلب به، فعل معه فيه ما فعل فيما قبله، وهكذا إلىٰ أن ينتهي، إلىٰ أن يقول: (وهكذا الترتيب فيمن

ظهر عليه وصف الإقدام والشجاعة وتدبير الأمور، فيمال به نحو ذلك ويعلم آدابه المشتركة، ثم يصار به إلىٰ ما هو الأولىٰ فالأولىٰ من صنائع التدبير: كالعرافة أو النقابة أو الجندية أو الهداية أو الإمامة أو غير ذلك مما يليق به، وما ظهر له فيه نجابة ونهوض، وبذلك يتربىٰ لكل فعل هو فرض كفاية قومٌ، لأنه سِير أولاً في طريق مشترك، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد في السير إلىٰ أن يصل إلىٰ أقصىٰ الغايات في المفروضات الكفائية، وفي التي يندر من يصل إليها كالاجتهاد في الشريعة والإمارة فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة)(١).

هذا آخر ما تيسر جمعه، أسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن يجعل فيه الخير لكاتبه وقارئه وأولاد المسلمين، وصلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وسلم علىٰ نبينا محمد بن عبد الله النبي الخاتم وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) الموافقات: ١/ ١٧٩ـ١٨١، وهذان النصان من ابن القيم والشاطبي يبينان حالة المجتمع المسلم وتوجيهات العلماء في ذلك الزمان، وذلك يدل علىٰ أن التخصص كان يبدأ مبكراً، أي في مرحلة الطفولة سن التمييز، وإنما أوردته هنا لاختلاف الأحوال في أيامنا، حيث لا يصار إلىٰ التخصص قبل تلك المرحلة إلا في النادر من الأحوال، والنادر لا حكم له.

بعض ما يمكن أن يستعان به في التربية من المراجع

هذه قائمة ببعض المراجع التي يمكن أن يرجع المربي إليها ليستفيد مما جاء فيها، وهي مراجع تعبر عن فقه أصحابها واجتهاداتهم، كما أنها ليست كلها خالصة للتربية، وليس يمتنع أن يكون بعض ما فيها مما لا يتفق عليه الكاتبون جميعهم، وهذا أمر لا حرج فيه، فالإجماع في مثل هذه الأمور شديد العسر، وقد يصح في بعض ما يذكر في هذه المراجع أن يقال: استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك، لكن هذا لا يمنع من الإشارة إليها، وهي تتباين فيما بينها من الطول والقصر، أو البسط والإيجاز، وقد نسقت حسب الترتيب الألفبائي للكتب، وليس حسب أهميتها أو مكانة كاتبيها.

م	اسم المرجع	اسم المؤلف	دار النشر
١	أثر الخادمات في تربية الطفل	عنبرة الأنصاري	المجتمع / جدة
٢	أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل	عبد الرحمن البابطين	القاسم / الرياض
٣	أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة	د / عدنان باحارث	دار المجتمع / جدة
٤	أضواء على التربية في الإسلام	علي القاضي	الأنصار / القاهرة
٥	أطفال المسلمين كيف رباهم النبي ﷺ	جمال عبد الرحمن	طيبة الخضراء / مكة
٦	أهداف التربية الإسلامية	د / مقداد ياجن	عالم الكتب / الرياض
٧	بصمات على ولدي	طيبة اليحيى	الهجرة / الرياض
٨	تجارب للآباء والأمهات	هناء بنت عبد العزيز	طيبة الخضراء / مكة
٩	تحفة المودود في أحكام المولود	الحافظ ابن قيم الجوزية	ابن الأثير / الرياض
١٠	تربية الأبناء (مراحل عمرية)	عبد الله الفالح	المعرفة / بيروت
١١	التربية الإيمانية والنفسية للأولاد	الشيخ يوسف خطار	دار التقوى / دمشق
١٢	التربية وبناء الأجيال في الإسلام	الأستاذ / أنور الجندي	دار الكتاب / لبنان

م	اسم المرجع	اسم المؤلف	دار النشر
١٣	التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً	عبد المجيد حلبي	السوادي / جدة
١٤	تربية الأطفال في رحاب الإسلام	محمد الناصر وخولة درويش	السلام / القاهرة
١٥	تربية الأولاد في الإسلام١ / ٢	عبد الله ناصح علوان	الذخائر / الدمام
١٦	تربية الأولاد كيف نجعلها متعة	عزت عوض خليفة	الحضارة
١٧	التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب	علي الزهراني	الدولية / الرياض
١٨	التربية الإيمانية والنفسية للأولاد	الشيخ يوسف خطار	دار التقوى / دمشق
١٩	تربية البنات في البيت المسلم	خالد أحمد الشنتوت	الرشيد / المدينة المنورة
٢٠	التربية الجادة ضرورة	محمد الدويش	الوطن / الرياض
٢١	تربية الطفل في الإسلام	أحمد محمد الحمد	النشر الدولي
٢٢	تربية الطفل في الإسلام	محمد العجمي وآخر	الرشد / الرياض
٢٣	تربية الطفل في الإسلام	عبد السلام الفندي	ابن حزم / بيروت
٢٤	تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس	د / محمد السيد الزعبلاوي	التوبة / الرياض
٢٥	التربية الوقائية في الإسلام	د / خليل الحدري	معهد البحوث / مكة
٢٦	التربية بالحوار	عبد الرحمن النحلاوي	الفكر / بيروت
٢٧	التربية بالعبرة	عبد الرحمن النحلاوي	الفكر / بيروت
٢٨	التربية بضرب الأمثال	عبد الرحمن النحلاوي	الفكر / بيروت
٢٩	التربية على منهج أهل السنة	أحمد فريد	طيبة / الرياض
٣٠	التربية في ظلال الإسلام	خولة درويش	الرسالة / مكة المكرمة
٣١	التقصير في تربية الأولاد	محمد بن إبراهيم الحمد	مجلة الأسرة / الرياض
٣٢	توجيهات تربوية للمعلمين والمعلمات	محمد بن السيد عفيفي	طيبة الخضراء / مكة
٣٣	ثقافة الطفل المسلم	أحمد بن عبد العزيز الحلبي	جامعة الإمام / الرياض
٣٤	دليل التربية الأسرية ٧٥ ملحظاً تربوياً للأبوين	أ.د / عبد الكريم بكار	البيان الحديثة / الطائف
٣٥	الصحابة والوسطية في تربية الناشئة	عصام الشايع	الوطن / الرياض

م	اسم المرجع	اسم المؤلف	دار النشر
٣٦	٩٢ طريقة لتعويد أولادك على الصلاة	هناء بنت عبد العزيز	طيبة الخضراء / مكة
٣٧	عظماء الأطفال	جمال عبد الرحمن	طيبة الخضراء / مكة
٣٨	علم النفس التربوي في الإسلام	د / مقداد ياالجن	دار المريخ / الرياض
٣٩	علم نفس المراحل العمرية	د / عمر المفدى	مطبعة طيبة / الرياض
٤٠	علم نفس النمو الطفولة والمراهقة	د / هشام محمد مخيمر	إشبيليا / الرياض
٤١	المؤثرات السلبية في تربية الطفل	عائشة عبد الرحمن	المجتمع / جدة
٤٢	المراهقون دراسة نفسية إسلامية	د / عبد العزيز النغيمشي	المسلم / الرياض
٤٣	مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد	د / عدنان باحارث	المجتمع / جدة
٤٤	مشروع برنامج تربوي إسلامي لإصلاح النفس	أ.د / عبد الحي الفرماوي	الكلمة / المنصورة / مصر
٤٥	من آداب الإسلام	محمد بن جميل زينو	المؤلف / مكة المكرمة
٤٦	منهج التربية الإسلامية	الأستاذ / محمد قطب	دار الشروق / مصر
٤٧	منهج التربية النبوية للطفل	محمد نور سويد	ابن كثير / طيبة / مكة
٤٨	منهج السنة النبوية في تربية الإنسان	د / بدير محمد بدير	الدعوة الإسلامية / المنصورة
٤٩	الوصايا الغالية في تربية فلذات أكبادنا	د / هاشم الأهدل	طيبة الخضراء / مكة
٥٠	٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت	محمد صالح المنجد	الوطن / الرياض

المصادر والمراجع

١ ـ **أحكام القرآن**، أبو بكر الجصاص .
٢ ـ **التحرير والتنوير**، الطاهر ابن عاشور .
٣ ـ **تفسير ابن كثير**، للحافظ ابن كثير .
٤ ـ **تفسير أبي السعود**، أبو السعود .
٥ ـ **تفسير البغوي**، البغوي .
٦ ـ **تفسير البيضاوي**، البيضاوي .
٧ ـ **تفسير القرطبي**، القرطبي .
٨ ـ **جامع البيان**، الطبري .
٩ ـ **صحيح البخاري**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
١٠ ـ **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري .
١١ ـ **فتح الباري**، لابن حجر .
١٢ ـ **عمدة القاري**، البدر العيني .
١٣ ـ **سنن أبي داود**، أبو داود .
١٤ ـ **سنن الترمذي**، الترمذي .
١٥ ـ **المسند**، الإمام أحمد .
١٦ ـ **صحيح ابن خزيمة**، للإمام ابن خزيمة .
١٧ ـ **صحيح ابن حبان**، لابن حبان .
١٨ ـ **سنن البيهقي**، البيهقي .
١٩ ـ **المستدرك**، الحاكم .
٢٠ ـ **المعجم الكبير**، الطبراني .

٢١ ـ **المصنف**، لعبد الرزاق الصنعاني .

٢٢ ـ **مسند الشاميين**، لأبي القاسم الطبراني .

٢٣ ـ **مسند أبي يعلى**، لأبي يعلىٰ .

٢٤ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**، ابن أبي شيبة .

٢٥ ـ **شرح معاني الآثار**، للطحاوي .

٢٦ ـ **تهذيب الكمال**، للحافظ المزي .

٢٧ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، شمس الحق العظيم أبادي .

٢٨ ـ **المهذب**، الشيرازي .

٢٩ ـ **تحفة المودود في أحكام المولود**، ابن قيم الجوزية .

٣٠ ـ **التمهيد**، ابن عبد البر .

٣١ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي .

٣٢ ـ **لسان العرب**، لابن منظور .

٣٣ ـ **علم نفس النمو الطفولة والمراهقة**، د/ هشام محمد مخيمر .

٣٤ ـ **علم نفس المراحل العمرية**، أ . د/ عمر بن عبد الرحمن المفدىٰ .

٣٥ ـ **المراهقون دراسة نفسية إسلامية**، أ . د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع — الصفحـــة

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة
٧ـ عدم الاستهزاء أو السخرية عند العقوبة	٩٦
٨ ـ إذا اعتصم أو استعاذ بمعاذ فأعاذه	٩٧
٩ ـ التفرقة بين ما كان سببه الجهل أو العمد	٩٨
١٠ ـ التفرقة بين ترك المأمور وفعل المحظور	٩٨
١١ ـ الاتزان في العقوبة	٩٩
المبحث الخامس : التوجيهات والنصائح :	١٠٠
١ ـ اتخاذ مربٍّ للولد	١٠٠
٢ ـ التقيد بالأدب النبوي	١٠١
٣ ـ التدريب على إصلاح النفس	١٠٢
٤ ـ الحفظ من القرآن	١٠٣
٥ ـ إتاحة الفرصة المناسبة للعب المفيد	١٠٤
٦ ـ قبول المبادرات من الصبي وتنميتها عن طريق الثناء والتشجيع	١٠٤
٧ ـ تجنب الإحباط والتثبيط	١٠٦
٨ ـ مراعاة تباين الأفهام (الفروق الفردية)	١٠٨
٩ ـ الاعتراف بالشخصية وعدم هضمه حقَّه بحجة أنه صبي	١٠٩
١٠ ـ كفه عن الباطل	١١٠
١١ ـ الجمع بين العفو والصفح، وبين الانتصار من أهل الظلم	١١١
١٢ ـ التعامل مع البيئة وعدم الانعزال	١١٢
١٣ ـ مجالسة الكبار وحضور مجالس العلماء للتخلق بأخلاقهم	١١٣
١٤ ـ تأهيل الصبي	١١٥
١٥ ـ مداومة المتابعة	١١٥
١٦ ـ متابعة المؤثرات الخارجية	١١٦
١٧ ـ إشراك الصبي في تحمل المسؤولية	١١٧

الموضــــوع الصفحــــة

الموضـــوع	الصفحـــة
المبحث الخامس: التوجيهات والنصائح:	١٤٩
١ ـ العناية بقلب الفتى	١٤٩
٢ ـ التمسك بالكتاب والسنة	١٥٠
٣ ـ الحوار والإقناع	١٥٠
٤ ـ الوعظ مع بيان العلة أو الحكمة	١٥١
٥ ـ الاقتراب والمصادقة	١٥٢
٦ ـ دورة في الطهارة	١٥٢
٧ ـ الرفق والرحمة وعدم الإثقال في التعليم	١٥٣
٨ ـ أدخلوه في مجتمع الرجال	١٥٣
٩ ـ الإشراك الفعلي في تحمل المسؤولية	١٥٤
١٠ ـ مراعاة الرغبة والإقبال في التوجه إلى العلم والمعارف والمهن	١٥٥
مراجع يستعان بها في التربية	١٥٩
المصادر والمراجع	١٦٣
الفهرس	١٦٥